# النقد الأدبيّ حول أبي تمّام والبُحتري
## في القرن الرابع الهجري


**محمد علي أبو حمدة**

ماجستير في النقد الأدبي
من الجامعة الاميركية في بيروت



دار العربيّة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولـــى
١٩٦٩ م

النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري
ـ في القرن الرابع الهجري ـ

# الإهداء

الى الخال العزيز رشدي راغب عموص على ما قدمه من
تشجيع مادي ومعنوي أهدي هذا الكتاب ،

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدّمة

جعلت دراستي هذه في أربعة أبواب ، باب للحياة العامة في القرن الرابع الهجري ، وثلاثة للنقد الأدبي الذي دار حول أبي تمام والبحتري. وقد استهللت الباب الأول في الحديث عن القرن الرابع الهجري من مناحيه المختلفة ، وبينت أن الحياة في هذا القرن كانت متناقضة أشد التناقض فسدت فيه الأحوال السياسية والمعيشية ولكن العلوم والآداب واصلت مسيرتها التي بدأتها في القرنين الأول والثاني .

وقد تناولت بالبحث في الباب الثاني : الخصومة بين أنصار الشعر القديم والمحدث وأشرت الى أن جذور هذه الخصومة تعود الى أئمة اللغة والدين الذين حدبوا على جمع الشعر الجاهلي للاستشهاد به في التفسير والنحو وفي تعليم الناشئة اصول العربية ، وأن عناصر هذه الخصومة لم تكن وليدة الاقتناع والتحليل . وأن فئة الكتاب والنقاد هي التي جمعت بين الشعر القديم والمحدث ونصت على الجيد ممن كان وفي أي زمان كان .

وقد عرضت في الباب الثالث للنقد الأدبي الذي دار حول أبي تمام والبحتري ، وبينت أن الخصومة الأدبية بين أنصار الشعر القديم وأنصار

الشعر المحدث اتخذت من المفاضلة بين أبي تمام والبحتري ميدانا لها ، وأن معظم المؤلفات التي تناولت عناصر هذه الخصومة ــ قبل الآمدي ــ لم تكن موضوعية ، ومن ثم كانت الحاجة ملحة لظهور مدرسة نقدية وسيطة تحكم بين المدرستين النقديتين المتخاصمتين •

وقد تناولت بالبحث في الباب الرابع ــ أبا القاسم الآمدي وكتابه « الموازنة » ، وبينت أن طريقة الآمدي في المفاضلة كانت على غرار أحكام القضاة ، وأنه لم يدخر وسعا في جمع كل ما يتصل بالطائيين من أخبار وروايات ، وأن قدأحسن استخدام ثقافات عصره وكانت روحه علمية في كل ما جمع وألف • وقد ناقشت منهج الآمدي في الموازنة وبينت أن الآمدي قد وضع حدا لكل تلك المفاضلات الجزئية بين الشعراء كأن يفضل شاعر على غيره لبيت قاله أو نصف بيت ، ولكنه مع ذلك ظل يفتقر الى النظرة الكلية في تراث الشاعرين • وقد بينت أن نظرة الآمدي النقدية ظلت أسيرة أغلال عمود الشعر وبذلك قصرت عن تذوق الكثير من اللمع الشعرية الكثيرة عند أبي تمام •

وقد لخصت سياق البحث في الخاتمة ، راجيا الله أن أكون قد وفقت في كشف جوانب كثيرة من عناصر الحركة النقدية التي دارت حول أبي تمام والبحتري ، والتي كان كتاب « الموازنة » ثمرة لها كما كان كتاب « الوساطة » ثمرة النقد الذي دار حول المتنبي ، والله من وراء القصد •

**المؤلف**

**في ٢٠ ــ ٥ ــ ١٩٦٩**

# الباب الأول

## مقدمات في حياة القرن الرابع الهجري

# مقدمات في حياة القرن الرابع الهجري

النقد الأدبي الذي دار حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري ــ هو في رأينا ــ تعبير عن الخصومة الأدبية بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر المحدث • ومع أن هذه الخصومة تمتد جذورها الى القرن الأول الهجري الا أنه لا يهمنا الا صورة النقد الأدبي التي تكاملت عناصرها في القرن الرابع ، وذلك لغنى العصر الأدبي والفلسفي وأثره في تعزيز أذواق النقاد والأدباء بالتحليل والتعليل •

وحتى نستطيع أن نجلو الصورة الواضحة للنقد الأدبي في هذا العصر لا مندوحة لنا من تبين العوامل المختلفة الفاعلة في حياة القرن الرابع الهجري وثقافته •

## ١ ــ الحياة السياسية والاقتصادية :

جرت عادة المؤرخين على تقسيم الخلافة العباسية الى عصرين:أولهما العصر العباسي الأول ويبدأ منذ قيام الخلافة العباسية في العراق بعد سقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢ هـ • وقد استمر هذا العصر مائة عام

تميز بصبغة فارسية في جميع النواحي ••• ثم بدأ العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ ، بتولي المتوكل على الله الخلافة ، وانتهى هذا العصر بسقوط الدولة العباسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ (١) •

ويقسم العصر العباسي الثاني ــ من حيث التسلط على الخلافة الى أربعة عصور :

١ ــ عصر نفوذ الأتراك من ٢٣٢ ــ ٣٢٤ هـ

٢ ــ عصر امرة الأمراء من ٣٢٤ ــ ٣٣٤ هـ

٣ ــ عصر بني بويه من ٣٣٤ ــ ٤٤٧ هـ

٤ ــ العصر السلجوقي من ٤٤٧ ــ ٦٥٦ هـ

ويهمنا من هذه العصور المختلفة ــ الفترة التي تكتنف حياة أبي القاسم الآمدي ( المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ) ، ذلك لأن كتابه « الموازنة بين الطائيين » كان الصورة المتكاملة لعناصر هذه الخصومة من جهة ، ومن جهة أخرى فان الخصومة الأدبية كانت قد انتقلت في هذا القرن الى شاعر آخر ــ ملأ الدنيا وشغل الناس ــ ألا وهو المتنبي ( ت ٣٥٤ هـ ) • وقد تداول الحكم في هذه الفترة سبعة خلفاء هم : ــ

١ ــ المقتدر : ٢٩٥ ــ ٣٢٠ هـ

٢ ــ القاهر : ٣٢٠ ــ ٣٢٢ هـ

٣ ــ الراضي : ٣٢٢ ــ ٣٢٩ هـ

٤ ــ المتقي : ٣٢٩ ــ ٣٣٣ هـ

٥ ــ المستكفي : ٣٣٣ ــ ٣٣٤ هـ

٦ ــ المطيع : ٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ

---

(١) الخربوطلي ــ غروب الخلافة الاسلامية ــ ص ١٢٢

## ٧ ــ الطائع : ٣٦٣ ــ ٣٨١ هـ (١)

أما الخليفة المقتدر فقد بويع له بالخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة (٢) وكان قد غلب عليه أصحاب الدواوين فلا ينفذ له أمر دونهم ، وراسلوا النساء والخدم ، وكلفوا الناس المغرم ، وأعدموا خزائنه الدينار والدرهم ــ كما يقول ابن دحية ، وجعلوا جارية من جواريه تعرف بثمل القهرمانة تجلس للمظالم ويحضرها الوزراء والقضاة والعلماء (٣) وكانت خلافة المقتدر حافلة بالأحداث السياسية والفوضى الاجتماعية والتدهور الاقتصادي ففي سنة ٣٠٧ هـ دخل القرامطة البصرة فنهبوا وسبوا الحريم (٤) وفي بغداد « ضجت العامة من الغلاء وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة وأحرقوا الجسور » (٥) . وفي سنة ٣٠٨ هـ غلت الأسعار ببغداد « فاضطربت العامة ... وكسروا المنابر وقتلوا الشرط وحرقوا جسورا كثيرة » (٦) .

وفي سنة ٣١١ هـ دخل أبو طاهر سليمان الجنابي في ألف وسبع مائة من القرامطة البصرة ونصبوا في الليل السلالم على سورها ، ووضعوا

(١) أنظر : المسعودي ــ مروج الذهب ج ٤ ص ٣١٢ ، ابن عبد ربه ــ العقد ــ ج ٥ ص ١٢٧ ــ ١٢٨ ( باستثناء الخليفة الطائع ) ، ابن دحية ــ النبراس ــ ص ١٠٩ ــ ١٢٥ ، ابن الطقطقي ــ الفخري في الآداب السلطانية ــ ص ٣٨١ ــ ٤٢٢ ، Encyclopaedia of Islam \ ; 1, p. 14 - 15 .

(٢) الخطيب البغدادي ــ تاريخ بغداد ــ ج ٧ ص ٢١٣

(٣) النبراس ــ ص ١٠٩

(٤) الذهبي ــ دول الاسلام ــ ج ١ ص ١٣٦

(٥) الهمداني ــ تكملة تاريخ الطبري ص ٣٠

(٦) ابن كثير ــ البداية والنهاية ج ١١ ص ١٣١

السيف في البلد ، وأحرقوا الجامع وسبوا الذرية كما يقول الذهبي (١)• وكانت هذه الأحداث تصل الى بغداد ووزراء الخليفة يتنافسون في صيد الدراج ، وينثرون على راميها المال الكثير (٢) •

وقد تميزت هذه الفترة بسقوط هيبة الوزراء وتعرضهم للمصادرات، فقد استوزر المقتدر في خلافته اثني عشر وزيرا ، يولي هذا اليوم ، ويعزله غدا (٣) • ومن هؤلاء الوزراء ابن الفرات الذي تعرض للعزل ثلاث مرات (٤) • وكان الخاقاني الذي وزر للمقتدر بعد ابن الفرات « سيء السيرة والتدبير ، كثير التولية والعزل ، قيل انه ولى في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة ، وأخذ من كل واحد رشوة وهجاء الشعراء • ومما قيل فيه :

وزير لا يمل من الرقاعه ... يولي ثم يعزل بعد ساعة
ويدني من تعجل منه مال ... ويبعد من توسل بالشفاعة
اذا أهل الرشا ساروا اليه ... فأحظى القوم أوفرهم بضاعة(٥)

ومما يدل على بذخ الوزراء واسرافهم في خلافة المقتدر ما يروى عن الوزير ابن الفرات انه وجد له بعد صرفه من الوزارة الاولى في سنة ٢٩٩ هـ : الف طيلسان ، وألف كساء ، وألف ومائتا عمامة ، وألف سروال، وألف منديل صغير ، وغير ذلك من أصناف الكسي والفرش والآلات أمرا عظيما مفرطا لكثرته (٦) • ويكفي دلالة على سوء الحال الذي تردت فيه خلافة بني العباس ما جرى للخليفة المقتدر على يد قائده مؤنس ، اذ دبر

---

(١) دول الاسلام ص ١٣٧ ، الهمداني ـ تكملة تاريخ الطبري ص ٥٣
(٢) النبراس ص ١٠٨
(٣) نفس المصدر ص ١٠٩ ، وانظر : العقد ج ٥ ص ١٢٨
(٤) الفخري في الاداب السلطانية ص ١٩٤
(٥) نفس المصدر ص ١٩٥
(٦) ابن الزبير ، ـ الذخائر والتحف ـ ص ٢٩٩

قتله ، وقطع رأسه ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق (١) •

ولم تكن نهاية القاهر بالله أحسن حالا من أخيه، اذ هجم عليه الجند وخلعوه وسملوه حق سالت عيناه على خديه ، وكان يحبس مرة ويفرج عنه أخرى ، فخرج يوما ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة (٢) •

وقد كانت حال الخليفة الراضي من المهانة بمكان عظيم ، وقد اعترف نفسه بذلك الى أحد خاصته قال : «كأني بالناس يقولون : أرضي هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركي ، حتى يتحكم بالمال ، ويتفرد بالتدبير ؟ ولا يدرون أن هذا الامر أفسد قبلي ، وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي ، فسلمت الى ساجية وحجرية يتسحبون علي ويجلسون في اليوم مرات ، ويقصدونني ليلا ، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه، وأن يكون له بيت مال ••• ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابي ، وآمر فيه بأمر فلا يمتثل ولا ينفذ•••وأكثر ما فيه أن يسألني فيه كلب من كلابهم فلا أملك رده وان رددتهم غضبوا وتجمعوا وتكلموا ••• » (٣)• وقد تمزقت الدولة في عهد الراضي الى مقاطعات متخاصمة فالبصرة مع ابن رائق ، وخوزستان الى أبي عبدالله البريدي ، وفارس الى عماد الدولة البويهي ، وكرمان بيد أبي علي محمد ابن الياس بن اليسع ، وبلاد الموصل والجزيرة، وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان ، ومصر والشام في يد الاخشيديين ، وبلاد افريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله بن المهدي الفاطمي وقد تلقب بأمير المؤمنين ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي ، وخراسان

(١) الفخري في الاداب السلطانية ص ١٩٣
(٢) نفس المصدر ص ٢٠١ ، وانظر : النبراس ص ١١٣ ، ودول الاسلام ج ١ ص ١٥٤
(٣) الصولي ، الاوراق ص ٤١

وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلـم ، والبحرين واليمامـة وهجر في يد أبي طاهر الجنابي القرمطي» (١) وقد ذهب الخليفة المتقي ضحية دسائس رئيس الحرس التركي الذي أتى بالمستكفي خليفة بدلا منه مما أثار ذلك حفيظة أهالي بغداد فدعوا الى نصرتهم أبناء بويه الذين كانوا بفارس ففتحت أبواب بغداد لهم (٢) • وقد أمل الخليفة المستكفي خيرا بقدوم بني بويه الـى بغداد سنة ٣٣٤هـ ، وجعل أبا الحسن أحمد بن بويه أمير الامراء ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا «عماد الدولة» وحسنا «ركن الدولة» (٣)• ولكن معز الدولة البويهي سرعان ما تغير قلبه على الخليفة ، فتقدم نفسان الى المستكفي ـــ كما يقول الهمداني ـــ فظن أنهما يريدان تقبيل يده ، فمدها فجذباه وطرحاه الى الارض وحملاه الى دار معز الدولة ماشيا حيث كحل وسملت عيناه (٤) •

وقد كان بنو بويه على المذهب الشيعي ، فحاولوا نقل الخلافة مـن العباسيين الى الشيعة ، وعزم معز الدولة على مبايعة أبي الحسن محمد بن يحيى الزبيدي العلوي ، فمنعه أحد خاصته من ذلك وقال : «اذا بايعته استقر عليه أهل خراسان وعوام البلدان وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك ، وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا وتمرض تارة وتستقل أطوارا ، لان أصلها ثابت ، وبنيانها راسخ (٥) •

---

(١) ابن كثير ج ١١ ص ١٨٤ وانظر : الفخري في الاداب السلطانيـة ص ٢٠٤ ، الهمداني ص ١٢٦ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١١٢ ابن الجوزي ـــ المنتظم ـــ ج ٦ ص ٢٨٨

(٢) سيديو ، لويس ـــ تاريخ العرب العام ـــ ص ٢٣٨

(٣) الهمداني ص ١٨١ ، الذهبي ج ١ ص ١٥٢

(٤) الهمداني ص ١٨٢ ، النبراس ص ١٢١ •

(٥) الهمداني ص ١٨٢

أضف الى ذلك بعد بني بويه عن الثقافة العربية حتى ان معز الدولة لما جاء الى بغداد احتاج الى من يترجم له كلام الوزير علي بن عيسى » (١)

وقد بقي الخليفة المطيع في الحكم حتى سنة ٣٦٣ هـ ولم يكن له من الخلافة سوى الاسم • ولم تكن نهاية الخليفة الطائع (٣٦٣ — ٣٨١ هـ) بأحسن من سلفه من خلفاء بني العباس ممن وقعوا تحت تسلط قواد الترك والفرس (٢) ويكفي شاهدا على سوء الاوضاع الاقتصادية التي تردت فيها عاصمة الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري ما قاله المقدسي : « انه ( أي العراق ) بيت الفتن والغلاء ، وهو في كل يوم الى وراء ، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء مع ثمار قليلة وفواحش كثيرة ومؤن ثقيلة » (٣)

## ٢ — الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري

طبيعي في مثل هذه الاوضاع السيئة أن يتحمل أهل العلم والادب الوزر الاكبر من سوء الحال المعيشية ، وكتب التراجم تعطينا صورة واضحة عن البؤس الذي أصاب الكثيرين من هؤلاء الاعلام نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، أبو الحسن الاخفش شيخ الآمدي في اللغة والنحو ، قيل أنه ضاقت به الحال حتى أكل الشلجم (٤) النيء ومات(٥)• وأبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز اللغوي (ت ٣٤٥ هـ) كان مقترا عليه في الرزق لاشتغاله بالعلم عن الكسب وأملى في الفقه ثلاثين ألف ورقة (٦) •

(١) الهمداني ص ١٩٠
(٢) النبراس ص ١٢٥
(٣) أحسن التقاسيم ص ١١٣ وانظر : الدوري — دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٩٠
(٤) الشلجم — اللفت
(٥) ياقوت ، معجم الادباء ج ١٣ ص ٢٥٦ ، المنتظم ج ٦ ص ٢١٥
(٦) ابن الوردي — تتمة المختصر في اخبار البشر — ج ١ ص ٢٨٧

ويروي أبو حيان التوحيدي قصة الفقر مع أستاذه المعافى بن زكريا يقول : «رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضر آمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه » (١) •

وهذا أبو سعيد السيرافي ( ت ٣٦٨ هـ ) كان لا نظير له في علم العربية ومع ذلك لا يخرج الى مجلس القضاء الا بعد أن ينسخ عشر ورقات ، يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته ثم يخرج الى مجلسه» (٢)• ولعل في قول ابن فارس اللغوي المتوفى عام ٣٦٩ هـ في مدح الدرهم وقيمته خير دليل على رقة حال طلبة العلم وأهله :

يا ليت لي ألف دينار موجهة
وأن حظي منها فلس فلاس
قالوا فما لك منها ؟ قلت تخدمني
لها ومن أجلها الحمقى من الناس (٣) •

ومن تصفح كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي سيقف على حشد كبير من صور البؤس لكثيرين من أئمة العلم واللغة في هذا القرن •

وقد ساد هذا القرن أجواء من الريبة والشك ، وقلت ثقة الناس ببعضهم البعض ، ولعل بعض ذلك راجع الى كثرة العيون والجواسيس الذين يعملون لحساب المقاطعات المتخاصمة ، ثم المنظمات السرية التي كانت تخدم أغراضا سياسية • وقد أتقن بنو بويه نظام الجاسوسية

---

(١) معجم الادباء ج ١٩ ص ١٥٣
(٢) ابن الانباري ــ نزهة الالباء ــ ص ٢١٢ ، وانظر : القفطي ــ انباه الرواة ج ١ ص ٣١٣
(٣) معجم الادباء ج ٢ ص ٩ ، وانظر : متز ــ الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢٦٣

والمخابرات ، فكان معز الدولة يبث السعاة ببغـداد لاعلام أخيه ركـن الدولة بالاحوال سريعا » (١) وكان عضد الدولة يبحث عن أشراف الملوك وينقب عن سرائرهم ، وكانت أخبار الدنيا عنده حتى لـو تكلم انسان بمصر رقي اليه ذلك ، حتى ان رجلا بمصر ذكره بكلمة فاحتال حتى جاء به ووبخه عليها ثم رده فكان الناس يحترزون في كلامهم وافعالهم مـن نسائهم وغلمانهم كما يقول ابن الجوزي (٢) •

**٣ ـ الحياة الثقافية**

يبدو أن الانقسامات الكثيرة والخصومات السياسية كانت نعمـة على الازدهار العلمي والأدبي في هذا العصر ، فقد تنافست الامـارات المستقلة في اجتذاب العلماء والأدباء وبالغت في اكرامهم وتنافس الملوك والامراء في اقتناء المكتبات ونشر دور العلم • ونظرة على فهارس يتيمة الدهر للثعالبي تعطي صورة حية نابضة للحشد الزاخر من الشعراء والأدباء والعلماء الذين تجمعوا في بلاطات الامـارات المستقلـة كالسامانيين في تركستان ، والغزنويين في أفغانستان ، والحمدانيين في حلب والموصل ، والأمويين في الأندلس والفاطميين في مصر ، والبويهيين في العراق والري وأصبهان • ويعجب المؤرخ لويس سيديو من هذه الظاهرة يقول :

« من التناقض العجيب أن كنت ترى مسالـك السلطة مضرجـة بالدم وحرس بغداد التركي يملي ارادته على خلفاء النبي ( عليه السلام ) وأن كنت ترى العرب الذين تعبوا من الحرب ومـن الفتن الداخليـة منهمكين في دراسة العلوم والآداب » (٣) •

ورغم أن آل بويه كانوا بعيدين عن الثقافة العربية في بداية أمرهم،

---

(١) ابن الوردي ـ ج ١ ص ٢٩٢
(٢) المنتظم ج ٨ ص ١١٤ ، وانظر : متز ـ ج ١ ص ٣٥
(٣) سيديو ، لويس ـ تاريخ العرب العام ـ ص ٢٣٩

الا أنهم كانوا يستوزرون المتفوقين في ثقافة عصرهم ، فقد وزر الاستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد الى ركن الدولة البويهي ( المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ) ، وكان كما يقول عنه الثعالبي : « واحد العصر في الكتابة ويدعى الجاحظ الأخير والاستاذ والرئيس ويضرب به المثل في البلاغة » (١) . ووزر ابنه أبو الفتح ابن العميد بعد موته الى ركن الدولة أيضا سنة ٣٦١ هـ فقام مقام أبيه وكان آخذا من محاسن الآداب بأوفر حظ » (٢) . ووزر أبو محمد الحسن المهلبي ( ت ٣٥٢ هـ ) لمعز الدولة البويهي سنة ٣٣٩ هـ وكان غاية في الأدب ـ كما يقول ابن خلكان (٣) . كما وزر الصاحب بين عباد ( ت ٣٨٥ هـ ) لمؤيد الدولة البويهي ( ت ٣٧٣ هـ ) ولأخيه فخر الدولة ( ت ٣٨٧ هـ ) وكان كما يقول ابن خلكان أيضا « نادرة الدهر وأعجوبة العصر » (٤) .

وقد تميز هذا العصر بكثرة المكتبات الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها . وكان الامراء والملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى أن الحكم صاحب الاندلس كان يبعث رجالا الى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الجديد من الكتب ، وكان فهرس مكتبته يتألف من أربع وأربعين كراسة كل منها عشرون ورقة ، ولم يكن بها سوى أسماء الكتب (٥) أما في مصر فكانت للخليفة العزيز ( ت٣٨٦ هـ ) خزانة كتب كبيرة ، وقد ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد ، وقد حمل

---

(١) يتيمة الدهر ـ ج ٣ ص ٣
(٢) نفس المصدر ص ٣٥
(٣) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٢
(٤) نفس المصدر ص ٢٠٨
(٥) المقريزي ـ الخطط ـ ج ١ ص ٤٠٨ وأنظر : متز ج ١ ص ٢٤٣

رجل بنسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه ، وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها » (١) •

وقد استدعى السلطان نوح بن منصور الساماني الصاحب بن عباد ليوليه وزارته ، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله ، وأن عنده من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر ، وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات كما يقول ياقوت (٢) •

وبالاضافة الى التنافس في اقتناء الكتب والنشاط الكبير في دكاكين الوراقين فان الترجمة كانت تجد طريقها بشكل غزير الى العالم الاسلامي وكان من نتيجة ذلك كما يقول أوليري أن استحوذ العالم الذي يتكلم العربية بعد سقوط الأمويين بثمانين عاما على ترجمات لمعظم مؤلفات أرسطو وشراح الأفلاطونية المستحدثة ، وبعض أعمال أفلاطون ومعظم مؤلفات جالينوس وأجزاء من مؤلفات أخرى في الطب وشروحها ثم من مؤلفات علمية اغريقية ومؤلفات هندية وفارسية مختلفة (٣) •

كل تلك المعارض من الثقافات المختلفة كانت تستهوي طلبة العلم والفكر والادب حتى اننا لنجد القاضي الزاهد أبا سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ يدرس الحساب والهندسة الى جانب المامه بالعلوم الفقهية واللغوية (٤) •

ولعل في الحادثة التالية التي يسوقها ابن النديم خير دليل على استهواء الثقافات الوافدة لكثيرين من الادباء والعلماء • قال أبو محمد بن

(١) الخطط ج ١ ص ٤٠٨
(٢) معجم الادباء ج ٢ ص ٣١٥
(٣) الفكر العربي — ص ١٢
(٤) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٣٣

درستويه : « رأيت ابن السراج يوما وقد حضر عند الزجاج مسلما عليه بعد موت المبرد ، فسأل رجل الزجاج عن مسألة فقال لابن السراج أجبه يا أبا بكر فأجابه فأخطأ فانتهره الزجاج وقال : والله لو كنت في منزلي ضربتك ولكن المجلس لا يحتمل هذا ... فقال قد ضربتني يا أبا اسحق وأدبتني وأنا تارك ما درست مذ قرأت هذا الكتاب يعني كتاب سيبويه لأني تشاغلت عنه بالمنطق والموسيقى » (١) وابن السراج هذا غني عن التعريف فقد كان أستاذ الآمدي واليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد (٢) .

واذا علمنا أن ابن فارس اللغوي ( ت ٣٩٥ هـ ) ألف لأول مرة مقدمة في النحو وأن البحث كان يدور في مجلس عضد الدولة ( ت ٣٧١ هـ ) حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصل استنباطهما (٣) علمنا أثر العلوم اليونانية في العلم والأدب . وليس غريبا بعد ذلك أن نجد النقاد والادباء في هذا العصر يتناولون مادة بحثهم بطريقة منهجية منظمة، وفي كتب قدامة بن جعفر وأبي القاسم الآمدي والقاضي الجرجاني خير دليل على ذلك .

والآن سنحاول الاجابة على هذا السؤال ، الى أي مدى كان تأثير الثقافات الوافدة على النقاد والادباء في هذا العصر ؟

من الواضح أن الثقافة العربية ــ في نموها وتكاملها ــ انطلقت من واقع العرب وبيئتهم وطرق حياتهم ، واتخذت هذه الثقافة من الكتاب الكريم والسنة قواعد رحبة ، وقد أقبل العرب على الفلسفة اليونانية بشغف ونهم ، سواء أكانت

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ٦٣

(٢) معجم الادباء ج ١٨ ص ١٩٩

(٣) القفطي ــ اخبار العلماء بأخبار الحكماء ــ ص ١٨٦ ، وانظر : متز ج ١ ص ٣٢٩ .

دوافعهم في ذلك حب العلم أم أنهم كانوا يجدون في المنطق اليوناني ذخيرة من الأقيسة المنطقية التي تخدمهم في الجدل والمناظرة بل وفي الرد على أهل النحل والملل . ولكن الذي نذهب اليه أن الأدب اليوناني لم يجد طريقه الى الثقافة العربية كما وجدها العلم والفلسفة ، ولعل في ميل الفكر العربي الى الحقائق وجنوحه الى الواقع مع ما في الأدب اليوناني ذاته من تعدد الآلهة ما نفرهم من مثل هذا الأدب وعلى العكس من ذلك نجد أن الأدب الفارسي وبخاصة أدب البلاط كان أقرب الى التأثير في الادب العربي ، ولعله مما ساعد على مثل هذا التمازج كثرة الادباء الذين جمعوا بين العربية والفارسية .

وقد سبقت الاشارة الى تشاغل ابن السراج بالمنطق وتأليف ابن فارس مقدمات في النحو على غرار مقدمات المنطق لأيساغوجي مما يدل على رفد هؤلاء الأعلام بكثير من الأقيسة المنطقية ومنهجية في البحث والتحليل ، ولكن هذه المؤثرات اقتصرت على طريقة العرض والبحث ولم تتناول الجوهر والمادة ، وهذا أحد أئمة اللغة والأدب ممن يعد صنوا للجاحظ وهو ابن قتيبة الدينوري ( المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ) يعد الثقافات الأجنبية اسما يهول بلا جسم وقشورا براقة دون لب يقول : « ... فاذا سمع الغمر والحدث الغر قوله : الكون والفساد وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل انما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعرض لا يقوم بنفسه ... ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه لعد نفسه من البكم ، أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقن ان للعرب الحكمة وفصل الخطاب » (١) .

---

(١) أدب الكاتب ص ٣ ـ ٥

وهذا الجاحظ يأتي على ذكر منطق أرسطو ولكن بسخرية خفية يقول : « ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء العرب لما فهموا أكثره » (١) . ومن نفس المبدأ يصدر القاضي أبو سعيد السيرافي في مناظرته لأبي بشر متى ابن يونس وذلك في مجلس الوزير أبي الكضل بن جعفر بن الفرات سنة ٣٢٦ هـ . يقول أبو سعيد : « ... ما وجدنا لكم الا ما استعرتم من لغة العرب كالسبب والآلة والسلب والايجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفع ولا تجدي وهي الى العي أقرب وفي الفهاهة أذهب . ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه وتذكرون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب ... وانما بودكم أن تشغلوا جاهلا وتستذلوا عزيزا ! وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص وتقولوا الهلية والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأيسية والليسية والنفسية ؟ وهذه كلها خرافات وترهات ومغالق وشبكات ، ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله » (٢) .

وعلى ذلك فاننا نجد موقف النقاد والأدباء وأئمة اللغة يقفون موقف الازدراء من الثقافات الأجنبية في عصرهم بل يذهب ابن نباته الى أن كتب الفلسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص انما أريد لها أن تفسد الثقافة العربية وان توقع بين علمائها (٣) .

---

(١) كتاب الحيوان ج ١ ص ٩٠

(٢) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٢٢

(٣) سرح العيون ص ١٣٠

# الباب الثّاني

## الخصومة بين أنصار الشعر القديم والمحدث

# الخصومة بين أنصار الشعر القديم والمحدث

**١ ـ منشؤها :**

الخصومة بين انصار الشعر القديم وأنصار الشعر المحدث تمتد جذورها الى القرن الاول والثاني الهجريين ذلك أن أئمة اللغة والدين وجدوا أنفسهم أمام تيارين : أما التيار الأول فهو تدارس القرآن الكريم وتفسيره ورواية الحديث وشرحه ثم تنسيق المغازي والسير بشكل يكون اكثر استساغة للمبتدئين والداخلين في الدين الجديد ، ولم يكن لهم في ذلك غنى عن الشعر الجاهلي وتفهم معانيه بل والحدب على حفظه والاستشهاد به . والتيار الثاني هو تصفية العلوم العربية من الشوائب الغريبة التي علقت بها والتي كان يخشى أن تطمس معالم الفطرة والأصالة فيها فطفقوا يضعون أسس علم النحو للوقوف في وجه اللحن الذي شاع حتى شمل أولاد الخلفاء . وقد كان الشعر الجاهلي الفيض الزاخر الذي يرفد أئمة النحو بالمفردات والتراكيب والاستشهادات .

وليس بدعا بعد ذلك أن تكثر مدارسة الشعر الجاهلي والاجتهاد في تفسيره وتحليله وسبر معانيه وأغواره ، واذا كان هذا هو الحال مع رواد

النحو والتفسير فما بال الناشئة والمتعلمين من غير العرب لا سيما اذا كانت الرغبة تحدوهم الى التعمق في الدراسات الاسلامية ؟ ان هؤلاء ــ بطبيعة الحال ــ لن يجدوا مندوحة عن تأسيس أنفسهم في الشعر الجاهلي لتتكون لديهم المادة اللغوية التي تقوم عليها القواعد النحوية والشروحات المختلفة .

ان هذه المدارسة للشعر الجاهلي والتمرس بشرحه وتحليله قد ولد نوعا من الالفة عند أئمة اللغة ، ولم يكن هؤلاء الأئمة يلقون بالا للشعر المحدث لقلة ثقتهم به . روي عن ابي عمرو بن العلاء قوله : « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولدا بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين » (١) .

ويعقب ابن رشيق القيرواني على ذلك بقوله : « هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي وابن الأعرابي ــ أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة (٢) وهذا الجاحظ في معرض دفاعه عن الشعر المحدث وما أتى به المولدون كشعر بشار وأبي نواس يقول : « لم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار الا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم أر غاية رواة الأخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل » (٣) .

ونحن من جهتنا لا يهمنا نفور أئمة اللغة من الشعر المحدث والذي أصبح لجاجة كما يقول ابن رشيق ، ذلك أن طائفة جديدة من الكتاب

(١) ابن رشيق ــ العمدة ــ ج ١ ص ٩٠
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) البيان والتبيين ج ٤ ص ٢٤

والأدباء والنقاد تتلمذت على أئمة اللغة والنحو ودرست الشعر المحدث كما ألفت القديم ووجدت في كل منهما جمالا وميزات خاصة يتفرد بها عن سواه . فهذا الجاحظ يقول : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فألفيته لا يعرف الا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقد الا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن ابن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات » (١) ويدعو الجاحظ البصير بجوهر الشعر أن يعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان (٢) . وجاء ابن قتيبة الدينوري بآراء تطبيقية في نقد الشعر يقول : « ... ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ، فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر الرصين ولا عيب عنده الا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم » (٣)

وجاء ابن المعتز ( ت ٢٩١ هـ ) فدرس الشعر المحدث دراسته للشعر القديم وألف رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه (٤) .

وعلى ذلك فان اتجاها جديدا في تذوق الادب ونقده أخذ يتبلور وتتضح قسماته وملامحه ، وأحس الادباء والنقاد بالحاجة الى مقاييس جديدة يقيمون بها شعر المحدثين ويفاضلون على أساسها بين الشعراء ،

(١) الصاحب بن عباد ــ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ص ٣١
(٢) كتاب الحيوان ج ١ ص ١٣٠
(٣) ابن قتيبة ــ الشعر والشعراء ج ١ ص ١٠
(٤) راجع فصولا من هذه الرسالة في كتاب « رسائل ابن المعتز » جمع عبد المنعم خفاجي وكتاب الموشح للمرزباني

فهذا قدامة بن جعفر ( ت ٣٣٥ هـ ) يضع كتابا في نقد الشعر ويفرش له بقوله : « العلم بالشعر ينقسم أقساما فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه وقسم الى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الاقسام المعدودة » (١) •

وما أن جاء نقدة القرن الرابع الهجري حتى كانت أشعار الاوائل قد ذللت لهم بفضل أئمة اللغة ورواة الشعر والاخبار وكانوا قد ألفوا أشعار المحدثين وتدارسوها ، يرفدهم الى جانب ذلك غنى عصرهم الأدبي والفلسفي بالعلل والأسباب ، وتناول مادة بحثهم بطرق منظمة فيها العمق والشمول فجاء تذوقهم للأساليب الأدبية فطريا أصيلا يعززه التحليل والتعليل ، وجاء أبو القاسم الآمدي بكتابه « الموازنة » ليضع حدا لكل تلك النظرات الجزئية في المفاضلة بين الشعراء كأن يفضل شاعر على غيره لبيت قاله أو نصف بيت ، وبذلك طفر بالنقد الأدبي عند العرب طفرة عالية اذ أخرجه ولأول مرة من حدود النقد الذاتي والاعجاب الشخصي الى نقد مشروع يقوم على أساس الموازنة بين الآثار الادبية جملة مع دراسة خصائص كل شاعر •

---

(١) نقد الشعر ص ١

## ٢ ـ الشعر القديم والشعر المحدث

يكاد النقاد والأدباء العرب يجمعون على التفريق بين الشعر القديم والشعر المحدث في كثير من الخصائص فهذا ابن طباطبا العلوي يقول : « ••• ومع هذا فان من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وافتخارا ووصفا وترغيبا وترهيبا الا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر : من الاغراق في الوصف ، والافراط في التشبيه ، وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق » (١) •

وفي تبيان خصائص الشعر المحدث يقول : « والشعراء في عصرنا انما يحابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم وبديع ما يغربونه من معانيهم وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم ومضحك ما يوردونه من نوادرهم وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم ، دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح والهجاء وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها ••• وأشعارهم متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه » (٢) والى مثل هذا الرأي يذهب أبو بكر الصولي ( ت ٣٣٥ هـ ) حيث يقول : « ان ألفاظ المحدثين مذ عهد بشار الى وقتنا هذا كالمتنقلة الى معان أبدع وألفاظ أقرب وكلام أرق وان كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء وانه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عيانا ، كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم مشاهدة وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحاري والبر والوحش والابل والأخبية فهم في هذه أبدا دون القدماء كما أن القدماء فيما لم يروه أبدا دونهم » (٣) •

---

(١) ابن طباطبا العلوي ـ عيار الشعر ـ ص ٩
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) الصولي ـ أخبار أبي تمام ـ ص ١٧

ويرى القاضي الجرجاني أن العرب انما كانت تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر » (١) •

صحيح أن هذه القواعد كانت أسس المفاضلة بين الشعراء ولكن هل يصح أن تتخذها مقاييس ثابتة للحكم على شعر المحدثين ؟

وما دامت بيئة المحدثين وطريقتهم في القول قد تغيرت عما كان عليه العرب في باديتهم فهل يحق لنا أن نحكم على الشعرين من خلال مقياس واحد ؟ وهل يحق لنا أن نطمس محاسن شعر العتابي ومسلم بن الوليد وأبي تمام لمخالفتهم قواعد النظم عند العرب ؟ ان اللغويين لم يستطيعوا أن يجاروا مثل هذا الابداع الأدبي عند الشعراء المحدثين ، ومالوا عنه بالجملة • وكتب الأدب مليئة بالنوادر الادبية التي تكشف عجز هؤلاء عن تذوق الشعر المحدث أو تعليل هذا الذوق ، فهذا ابن الأعرابي ينشده رجل شعرا لأبي نواس ، فيسأله الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : بلى ، ولكن القديم أحب الي » (٢) وكان أبو عمرو بن العلاء لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين (٣) •

وكان من الطبيعي والحال هذه أن يكون هناك مدرستان اديبتان : مدرسة تتعصب للقديم وترى أنه يفوق كل خالف ومدرسة تتعصب للمحدث وتقدمه على كل سالف ، وكانت مثل هذه الخصومة بين المدرستين بحاجة الى مدرسة ثالثة تقرب بين الأوساط المتنازعة وتحكم للآثار الأدبية لها أو عليها على أساس من التحليل والتعليل ودون هوى شخصي ، وتلك هي المهمة الشاقة التي أراغ لها الآمدي في المفاضلة بين الشاعرين في كل ما يتصل بشعريهما من جودة واساءة ومثله فعل القاضي

---

(١) القاضي الجرجاني ــ الوساطة ــ ص ٣٣
(٢) المرزباني ــ الموشح ــ ص ٣٨٤
(٣) ابن رشيق ، العمدة ج ١ ص ٩٠

الجرجاني في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

وقد ازدادت الخصومة الادبية بين أنصار الشعر القديم والمحدث وبلغت أوجها حول أبي تمام الذي أفرط في تعقيد شعره وتوشيحه بألوان البديع ، فأما اللغويون والاخباريون فأعرضوا عن شعره ، وأما الأدباء ــ بما فيهم الكتاب وأصحاب المعاني ــ فحفلوا به ودرسوه . ولما ظهر في المحدثين من يقول الشعر على مذاهب الأوائل وطريقتهم كالبحتري ــ تعصب له اللغويون وأنصار الشعر القديم وفضلوه على أبي تمام . واتخذت الخصومة حول أبي تمام طابع المفاضلة بينه وبين البحتري .

# الباب الثالث

## فصل في نقد أبي تمام والبحتري

# فصل في نقد أبي تمام والبحتري

(١) توطئة

لم تقف الخصومة الأدبية حول أبي تمام عند المذهب الأدبي بل ألف أعداء أبي تمام الكتب في انتقاص شعره والغض منه ، واستشهدوا بآراء أئمة اللغة والنحو ونسبوه الى السرقة والاغارة على معاني الأقدمين ، وألف أنصاره الكتب في التعصب له والافراط في تفضيله . فقد ألف أحمد بن أبي طاهر ( ت ٢٨٠ هـ ) وأحمد بن عمار القطربلي المعروف بالعزيز كتبا في سرقات أبي تمام واحالاته وأغلاطه كما ألف أبو الضياء بشر بن يحيى الكاتب كتابا سماه « سرقات البحتري من أبي تمام » وخاصة ما أخذه من أبي تمام ، والصولي الذي جمع آراء سابقيه في كتابه « أخبار أبي تمام » . ومع أن هذه الكتب لم تصل الينا عدا كتاب الصولي ، الا أننا سنحاول أن نلم ببعض مناهجها وروحها العامة من خلال موقف الامدي منها ومآخذ النقاد عليها .

**( أ ) سرقات أبي تمام لابن أبي طاهر :**

ومن خلال نقد الآمدي لمنهج ابن أبي طاهر في السرقات يمكن أن

نستخلص المبادىء العامة التي اعتمدها ابن أبي طاهر في التخريج :

يرى الآمدي أن السرقات التي أخرجها ابن أبي طاهر تقع في ثلاثة أقسام :

١ ــ الأبيات التي يصح فيها السرق •

٢ ــ ما نسب الى السرق وليس بمسروق لانه مما يشترك الناس فيه من المعاني ويجري على ألسنتهم •

٣ ــ ما نسب الى السرق والمعنيان مختلفان •

ويبدو أن مبالغات ابن أبي طاهر في ادعاء السرقات البعيدة على أبي تمام والبحتري لم تكن وليدة المغالاة ، فقد روي أنه كان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت (١) • وقد بين مذهبه في تتبع السرق في محاجته للبحتري قال :

والشعر ظهر طريق أنت راكبه
فمنه منشعب أو غير منشعب
وربما ضم بين الركب منهجه
وألصق الطنب العالي على الطنب (٢)

فلا عجب أن يأخذ بالشبهة ويحكم بالظنة ويخلط ما ليس بمسروق من الأبيات بالمسروق منها ، ويبدو كذلك أنه لم يكن موضوعيا في تأليفه فقد روي أنه لم يشتهر بمثل ما اشتهر به من التصنيف للكتب وقول الشعر أكثر تصحيفا منه ولا أبلد علما ولا ألحن (٣) • ويذهب الاستاذ محمد مصطفى هداره الى أن ابن أبي طاهر لم يكن يهمه من أمر السرقات غير تكثير العدد (٤)• وذهب أبو علي الحاتمي ( ت٣٨٨هـ ) الى أن أحمد بن أبي طاهر كان يختلق أبياتا يدعي فيها سرق أبي تمام تحاملا

---

(١) معجم الادباء ج ٣ ص ٨٨
(٢) الوساطة ص ٢١٥
(٣) الفهرست ص ١٤٦ ، معجم الادباء ج ٣ ص ٨٨
(٤) مشكلة السرقات في النقد العربي ص ١٤٨

عليه (١) .

اما كتـــاب ابن عمار القطربلي فيما خطأ فيه أبا تمام فقد عـــرض الآمدي لنماذج منه وبين أنه تجاوز الحد في القدح في الجيد من شعـــره وطعن فيما لا يطعن عليه ، واحتج بما لا تقوم به حجة . ويعقب الآمدي على ذلك بقوله : « ... ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطأه الا على أبيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الأبيات التي تتضمن بعيد الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بينت غلطه فيما أنكر عليه من الصواب في جزء مفرد » (٢) .

**ب ـ أبو الضياء بشر بن يحيي الكاتب ومنهجه في سرقات البحتري**

ويبدو أن أبا الضياء بشر بن يحيى سلك طريق ابن أبي طـــاهر في التكثير والمبالغة ، وقد نقل الآمدي مقدمة كتاب أبي الضياء يبين خطتـــه في التأليف قال : « ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يعجل بأن يقول : هذا مأخوذ من هذا حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيمـــا خفي وانما المسروق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد آخـــذه في أخذه ... ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل امرىء القيس وطرفـــة حين لم يختلفا الا في القافية فقال أحدهما « وتجمـــل » وقـــال الآخـــر « وتجلد » ... ففي الناس طبقة أخرى يحتاجون الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة اللفظ الظاهر وهم قليل »(٣).

وظاهر من مقدمة الكتاب أن الناس عند أبي الضياء يتفاوتون فـــي الوقوف على السرقات الشعرية فمنهم من يقف عند ظاهر اللفظ ومنهـــم من يكون الغامض عندهم بمنزلة اللفظ الظاهر وهم قليل . فهو يدعو الى

---

(١) الرسالة الموضحة ص ١٦١
(٢) الموازنة ج ١ ص ١٣٥
(٣) نفس المصدر ص ٣٢٥

التأمل واعمال الفكر حتى يروا السرقات فيما خفي من المعاني وأبعد فيه آخذه • وقد ذهب الدكتور محمد مندور الى أن السرقة عند أبي الضياء لا تكون في الالفاظ وانما تكمن في المعاني لأنها جديرة بالأخذ • وواضح أن أبا الضياء لم يقصد ذلك ولكنه ينعي على الذين يقفون في معرفة السرقات عند التشابه اللفظي ولا يتجاوزونه الى ما خفي من المعاني (١) •

وقد رد الآمدي على مقدمة كتاب أبي الضياء بن بشر وفاسد قياسه قال : « ••• فجعل هذه التقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والحشر وأن يقبل منه كل ما يورده ، ولم يستعمل مما وصى به من التأمل واعمال الفكر شيئا ، ولو فعل ذلك لرجوت أن يوفق لطريق الصواب فيعلم أن السرقة انما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال انه أخذه من غيره • غير ان أبا الضياء استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السرق في شيء ، ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب ، وأتى بضرب آخر ادعى أيضا فيه السرق والمعاني مختلفة وليس فيه الا اتفاق ألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر اذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب » (٢) •

**٢ ـ تعصب الصولي لابي تمام ـ**

يبدو أن التعصب في كل شيء كان السمة الغالبة لأهل البصرة وبغداد في القرن الرابع الهجري اذ يروي أبو حيان التوحيدي عن القاضي

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٥٩ ، وانظر : مشكلة السرقات في النقد العربي ص ١٤٩

(٢) الموازنة ج ١ ص ٣٢

أبي حامد المروروذي أنه قال « أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم ان بغداد أطيب من البصرة ، وأنا اليوم في كلامي معهم كما كنت في أول كلامي لهم ، وكذلك حالهم معي فهذا هذا . أنظر الى فضل ومرعوش ... وهما من سقط الناس وسفلتهم كيف لهج الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من ببغداد اما مرعوشيا واما فضليا » (١) ويبدو كذلك أن التعصب لأبي تمام أو عليه لم يكن دائما وليد الذوق الأدبي ، اذ أننا نجد جذورا للخصومة والعداء بين أبي بكر الصولي صاحب كتاب « أخبار أبي تمام وتلاميذه أبي الفرج الأصفهاني ( ٣٥٦ هـ ) وأبي عبيد الله المرزباني ( ت ٣٧٨ هـ ) من جهةوبين أبي موسى الحامض ( ت٣٠٥ هـ ) وتلاميذه بما فيهم الآمدي من جهة أخرى .

أما الصولي فهو أبو بكر محمد بن يحيى الكاتب المعروف بالصولي الشطرنجي . روى عن أبي داود السجستاني وأبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد ومن تلاميذه ابو الفرج الاصفهاني » (٢) .

ويرى الدكتور محمد عبده عزام أن العداوة بين الفريقين اتخذت من أبي تمام ميدانا للجدال والخصومة يقول : « وقد كان الآمدي تلميذا لأبي موسى الحامض الذي يكره الصولي ويكثر من التشنيع عليه ، وربما كان لهذه التلمذة أثر فيما كان بين هذين الرجلين : الصولي والآمدي من عداوة حتى لكأنما اتخذا من أبي تمام ميدانا للخصومة (٣) .

ويؤكد الصولي هذه الخصومة في رسالته التي بعث بها الى مزاحم بن فاتك من كتاب أخبارأبي تماميقول: «وأنت ـ أعزك الله ـ تشهد لي من
ابن فاتك من كتاب أخبار أبيتمام يقول : «وأنت ـ أعزك الله ـ تشهد لي من
والطعن على سائر ما أمليته ، وأنه لا فائدة في شيء منه فلما توفي وحملت

(١) الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٨٨
(٢) المرزباني ـ نور القبس ـ ص ٣٤٦
(٣) ديوان أبي تمام ـ شرح التبريزي ـ المقدمة

كتبه اليك وجدت أكثر ما أمليته من كتاب « الشامل في علـم القرآن » وكتاب « الشبان والنوادر » وما مر من شعر أبي نواس قد كتبه كلـه بخطه ، واتخذ اصولا ينفق منها تفاريق على من يقصده ويطلب فائدتـه فأكبرت ذلك وكثر منه عجبك »(١) .

ويتخـذ الصـولـي مـن الخصومـة حـول أبـي تمـام واجهـة للتهجـم علـى أبي موسى الحـامض أقدم أصحـاب أبـي العباس ثعلب وأبي اسحق الزجاج أستاذ الآمدي وأقدم اصحاب أبـي العباس المبرد ـ يقول في رسالته الى مزاحم بن فاتك : « وترى بعد ذلك قوما يعيبون ويطعنون في كثير من شعره ويسندون ذلك الى بعض العلماء ويقولونه بالتقليد والادعاء اذ لم يصح فيه دليل ، ولا أجابنهـم اليـه حجة » (٢) .

ويغمز الصولي من قناتي أبي موسى الحامض وأبي اسحق الزجاج ومن رأى رأيهما ـ بكيل الثناء والمديح لأبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد والغض من غيرهما ممن يجلس مجلسهما ويتحلى بأدبهما يقـول : « ... ورأيت أعزك الله أكثر المتحلين بالادب في زماننا هذا على خـلاف ما عهدت عليه القدماء الماضين والعلماء الاستاذين : يطلب الرجل منهـم فنا من فنون الآداب فيقسم له حظ فيه ، وينال درجة منه فلا يـرى أن اسم العالم يتم له ولا أن الرياسة تنجـذب اليه الا بالطعن علـى العلماء والوضع من ماضيهم والاستحقار لباقيهم ويكثر ذلك على لسانه حتـى يكون أجل فوائده وأكثر ما يمر في مجلسه ثم لا يقنع بالعلم الذي جذب أطرافه وادعى جملته واحتجز عن المناظر له والمبين عن مقداره بالحجة عليه بقوم أعدهم لمواثبة من يسأله والانتهار لمن يطالبه حتى يدعي مـن العلوم ما لم يخطر له ببال ولا كد فيه ذهنا ولا حمل الى أهله قدما ولا عرف له

(١) اخبار ابي تمام ص ١٠
(٢) نفس المصدر ص ٤

طالبا ويظن أنه متى لم يعلمه لم يعد عالما ولم يحسب رئيسا . ومن جليل من رأيناه ولزمناه وأكثرنا عنه ممن بعد صيته وشهد بالعلم له ووقع الاجماع عليه اثنان : أبو العباس أحمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني ـ رحمهما الله ـ فما رأيناهما زعما قط أنهما أعلم الناس بقديم السير وما جرى عليه أمر الدول ولا بعلوم الأوائل ولا قصص الملوك ولا بأخبار قريش ، وأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبعثه ومغازيه ، ومعرفة أهله وأصحابه رحمهم الله وذلك من أجل العلوم ... ولا ادعيا التقدم على غيرهما في علم العروض والقوافي والنسب والرسائل والمكاتبات والبلاغة ومعرفة استراقات الشعراء وأخذ بعضهم من بعض والمحسن منهم في ذلك والمسيء ، ولا ادعى ذلك مدع لهما ولكنهما كانا يتقدمان في النحو واللغة ويعلم كل واحد منهما من هذه العلوم طرفا ولا يقول واحد منهما اني لا أغلط ولا يحتشم اذا لم يعرف الشيء أن يقول لا أدري » (١) .

وحاول الصولي أن يبرىء ساحة أبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد من تعصبهما للبحتري ضد أبي تمام كرد معاكس على دعاوى أنصار البحتري فساق روايات منها :

١ ـ حدثني بنونيبخت ـ وما رأيت أبا العباس أحمد بن يحيي على جلالته عند أحد أجل منه عندهم كلهم ينسب اليه في تعلمه أنه قال لهم : أنا أعاشر الكتاب كثيرا وخاصة أبا العباس بن ثوابة وأكثر ما يجري في مجالسهم شعر أبي تمام ولست أعلمه ، فاختاروا لي منه شيئا فاخترنا منه اه ودفعناه اليه فمضى به الم ابن ثوابه فاستحسنه فقال له : انه ليس مما اخترت وانما اختاره لي بنونيبخت ، قال : وكان ينشدنا البيت من شعره ثم يقول : ما أراد بهذا ؟ لنشرحه له فيقول : أحسن والله وأجاد ، فهذا

(١) أخبار أبي تمام ص ٦ وما بعدها

قصة امام من أئمة الطاعنين عليه عندهم » (١) .

٢ ــ قال الصولي : « حدثني أبو العباس عبد الله بن المعتز قال : جاءني محمد بن يزيد المبرد يوما فأفضنا في ذكر أبي تمام وسألته عنه وعن البحتري فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة ، لا يقول مثلها البحتري وهو صحيح الخاطر حسن الانتزاع وشعر البحتري أحسن استواء ، وأبو تمام يقول النادر والبارد » (٢) .

وقد أبان لنا الآمدي موقف أنصار البحتري من هذين العالمين واستشهادهم بهما قال صاحب البحتري : « فابن الاعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني ــ وقبلهما دعبل بن علي الخزاعي ــ قد كانوا علماء بالشعر وبكلام العرب وقد عرفتم مذاهبهم في أبي تمام وارذالهم لشعره » (٣) ويقول صاحب البحتري : « وهذا أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد كان معرضا عنه ما علمناه دون له كبير شيء ، فهذه كتبه وأماليه وانشاداته تدل على ذلك ، وكان يفضل البحتري ويستجيد شعره، ويكثر انشاده ولا يمليه ، لأن البحتري كان باقيا في زمانه » (٤) ويرى الصولي ان الصنف الثاني ممن يعيب أبا تمام وهو من يجعل ذلك سببا لنباهة واستجلابا لمعرفة اذ كان ساقطا خاملا فألف في الطعن عليه كتبا واستغوى عليه قوما ليعرف بخلاف الناس وليجري له ذكر في النقص اذ لم يقع له حظ في الزيادة ومكسب بالخطأ اذ حرمه من جهة الصواب » (٥)

ويجري أبو الفرج الاصفهاني بريح أستاذه الصولي على مهاجمة معاصريه ممن يتعصب ضد أبي تمام فيقول : « ... وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى فضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون

---

(١) أخبار أبي تمام ص ١٥
(٢) نفس المصدر ص ٩٦
(٣) الموازنة ج ١ ص ١٩
(٤) اخبار أبي تمام ص ٢١
(٥) نفس المصدر ص ٢٨

الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فاضل ، وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا في الترفع وطلبا للرياسة » (١) • ويخرج الصولي عن حدود الخصومة الادبية المتمثلةحول أبي تمام الى الهجاء المقذع والتمثل بالأبيات المرذولة والساقطة لينال من أبي موسى الحامض وأبي اسحق الزجاج مما يوحي بأن جذور البغضاء والعداوة أعمق من الخصومة الادبية والتستر وراءها يقول : « أنشدني يحيى بن علي في الزجاج :

فتعالى الالـه ما أبلـد المأ فون مستنطقا وما أعياه

مـا رأينا من الضعف مما يدعي علمه سوى دعواه

ولولا ما اضطررت اليه من الاحتجاج لما ندبتني له لما كـان لمثـل هؤلاء خاطر في فكري ، ولا طريق على لساني ولا أهلت منهم أحـدا لذمي » (٢) ويعقب الصولي على ذلك بقوله : «وما ضر أبا تمام قـول هؤلاء ، كما لا يضر البحر أن يقذف فيه حجر ، ولا ينقص البدر أن ينبحه الكلب » (٣) • وتمثل الصولي بعد ذلك بأبيات مقذعة نربأ عـن ذكرها (٤) •

ونحن بدورنا نرى ان هذه الكراهية من جانب الصولي لأبي موسى الحامض وأبي اسحق الزجاج قد انتقلت الى تلامذتهم بما فيهم الآمـدي ولعل هذا ما يفسر لنا احجام أبي الفرج الاصفهاني وعبيد الله المرزبانـي عن ذكر الآمـدي أو شيئا من سيرته في كتبها ، بل ذهب المرزباني الـى اغفال اسم أبي موسى الحامض في ترجمته للنحويين واللغويين من كتاب

---

(١) الاغاني ج ١٦ ص ٣٠٣
(٢) أخبار ابي تمام ص ٤٠
(٣) نفس المصدر ص ٤٦
(٤) نفس المصدر ص ٤١ — ٥٠

« القبس » •

وتبدو هذه الكراهية عند الآمدي للصولي وحزبه في سياق كلامه عن النسخ القديمة التي رجع اليها من ديوان أبي تمام قال : « ••• حتى رجعت الى النسخة العتيقةالتي لم تقع فييد الصولي واضرابه » (١) •وفي معرض الكناية وأحسبه يعرض بالصولي بقوله : « فلم لا تصدق نفسك أيها المدعي وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ، أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وأنك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه » (٢) • والجدير بالذكر أن الصولي كان يقتني خزانة من دواوين الشعراء ويباهي على أنها كلها من سماعه (٣) • ويحكي أبو سعيد العقيلي أنه رأى لأبي بكر الصولي بيتا مملوءا كتبا قد صنفها ، وجلودها مختلفة الألوان ، وكان يقول : هذا كله سماعي ، واذا احتاج الى معاودة شيء منها قال : يا غلام ، هات الكتاب الفلاني • فقال أبو سعيد المذكور :

انما الصولي شيخ — أعلم الناس خزانة
ان سألناه بعلم — طلبا منه ابانة
قال يا غلمان هاتوا — رزمة العلم فلانه (٤)

وقد كان الصولي يعتد باقتناء النسخ الصحيحة من دواوين الشعراء يقول في سياق كلامه لمزاحم بن فاتك « وليس يجب ــ أعزك الله ــ أن تنظر الى اختلاف الناس في أبي تمام واضطراب روايتهم لشعره ، فانه بعد اتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها ، كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ثم قد اجتمعوا عليه بعد فراغي منه ، حتى ان النسخة من شعره من غير ما عملته لتباع بدراهم وقد كانت قبل

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٠٥
(٢) نفس المصدر ص ٣٩٢
(٣) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٨٠.
(٤) نفس المصدر ص ٢٨٠.

ذالك تباع بعددها دنانير ولعلها بعد قليل تفقد فلا ترى ، وتسقط فلا تراد » (١) •

### ٣ ــ فساد ذوق الصولي النقدي ــ

واضح مما تقدم أن الصولي متعصب معتد بنفسه ،فهو ينتقل من الرد الأدبي الهادىء على خصوم أبي تمام الى الافحاش والاقذاع في سبابهم ، وعذر الجهل الذي يتمحله لخصومه من السهل أن نرمي به من نريد ــ كما يقول الدكتور مندور ، وهو بعد دليل غرور وافلاس في المحاجة ، والذي لا شك فيه أن هؤلاء العلماء لم يكونوا في حاجة الى الصولي ليشرح لهم شعر أبي تمام أو على الأقل كان منهم من ليس في حاجة الى مثل هذا الشرح (٢) • وهذا الآمدي يشرح شعر أبي تمام وينقده ويناقش مراميه البعيدة دون ان يجد خصومه من أنصار أبي تمام سبيلا الى تخطئته حتى ان ابن المستوفي كان يدعي أن الآمدي يضع في شعر أبي تمام أبياتا مفسودة ليردها عليه (٣) • وهنالك مآخذ أوردها ابن المستوفي وهو أشد الناس تعصبا لأبي تمام على شرح الصولي تبطل دعواه وتبين سقم زعمه :

من ذلك قول الصولي في تفسير بيت أبي تمام عن الحصان :

يكاد يجري الجادي من ماء عطـ
فيه ويجنى من متنه الورس

أي أن من صفرته وصفائه كأن الزعفران يخرج منه ويسيل من عروقه • قال ابن المستوفى في الرد عليه : انما أراد أبو تمام بقوله « من عطفيه » ما شف من صفاء لونه كما قال ( ماء الشباب يجول في وجناته ) ولم يرد العرق نفسه (٤)•

(١) اخبار ابي تمام ص ٥٥
(٢) انظر : النقد المنهجي عند العرب ص ٧٩
(٣) ديوان أبي تمام ــ شرح التبريزي ج ١ ص ٣٤٨
(٤) نفس المصدر ــ ج ٢ ص ٢٢٦

وفي شرح الصولي لبيت أبي تمام :

فسقـاه مسك الطـل كافور الصبا
وانحـل فيـه خيط كـل سمـاء •

يقول :طيب الصبا يجمع الغيم ويجلب الطل فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما في شدة الحرارة ولا أعرف في وصف المطر أحسن من قول هذا وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء الى الأرض ، فقال ابـن المستوفي يرد عليه : ولا معنى لقول الصولي وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء الى الارض وانما أراد أبو تمام حسن الاستعارة فجعل لكـل مطر خيطا معقودا ثم جعله منحلا فيه يعني سقاه كل مطر ، كما يقال حـل السحاب عزاليه ، والعزلاء فم المزادة السفلى ، وانما تكون مشدودة بخيط وهذا توهم من الصولي (١) •

وقد عرض القاضي الجرجاني لدعـوى أبي بكر الصولـي قال :

« ••• وهذا كما زعم الصولي أن قول البحتري :

علـي نحـت القوافي مـن مقاطعهـا
ومـا علـي اذا لـم تفهـم البقر

مأخوذ من قول أبي تمـام :

لا يدهمنك مـن دهمائهـم نفـر
فـان جلهـم بـل كلهـم بقـر

هذا مع اتساع الدعاوى ، وتحققه عنـد نفسه بنقد الشعر ، وادعائه أن أحدا لم يسبقه الى هذا العلم ، وأنه في طريق لم تسلك قبله ، وبـاب لم يزل مستغلقا حتى افتتحه ، كأن لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمـون البليد الغبي حمارا أو بقرة » (٢) •

ومما يدل على فساد ذوق الصولي النقدي وضعف قياسه في تسويغ

---

(١) ديوان أبي تمام ــ شرح التبريزي ــ ج ١ ص ٢٨
(٢) الوساطة ص ٣٤٨ وقابل : أخبار أبي تمام ص ٥١

أخطاء أبي تمام ايراده أخطاء الشعراء السابقين والمفاضلة بينها وبين أخطاء أبي تمام كأن الخطأ يعالج بالخطأ ، وكأن الاقتداء يجب ان يكون بالاساءة بدل الاحسان • من ذلك ما عيب به قول أبي تمام :

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت
أعمارهم مثل نضج التين والعنب

يقول الصولي : « فان كان هذا لأن التين والعنب ليس مما يذكر في الشعر ، وأنه مستهجن فقد قال ابن الرقيات :

سقيا لحلوان ذي الكروم وما
صنف من تينه ومن عنبه (١)

ويقول الصولي أيضا : « وعابوا قوله وأسقطوه عند أنفسهم :

ما زال يهذي بالمواهب دائبا
حتى ظننا أنه محموم

فكيف لم يسقطوا أبا نواس بقوله في العباس بن عبد الله بن جعفر :

جدت بالأموال حق     قيل ما هذا صحيح

والمحموم أحسن حالا من المجنون لان هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان والمجنون قلما يتخلص ، فأبو تمام في تشبيهه الافراط في الاعطاء والبذل باكثار المحموم أعذر من أبي نواس اذ شبهه بعقل المجنون (٢) • مما لا يخفى من تمحل التسويغ وفساد القياس •

ويذهب الصولي الى أن بعض المتعصبين ضد أبي تمام هم من الذين اتهموه بالكفر وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره وتقبيح حسنة (٣) وقد رد القاضي الجرجاني على مثل هذه الدعوى الباطلة بقوله : « فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد

(١) اخبار أبي تمام ص ٣٢
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) الوساطة ص ٦٤

سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الـدواويـن ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهليـة ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابـن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليـه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا وبكاء مفحمين ، ولكن الامرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر » (١) .

(١) الوساطة ص ٦٤

# البَابُ الـــرّابع

## الآمـدِي وَكـتاب "المَوَازنَـة"

# الآمدي وكتاب "الموازنة"

## أ ــ ابـو القاسم الآمدي

١ ــ حياته ــ ينتمي الآمدي الى مدينة « آمد » من اعمال ديـار بكر (١) • وقد عدته كتب التراجم « من اهل البصره ، وبهاولد » (٢) • وذكر القفطي ان نشأته كانت بها ايضا (٣) • وقد اجمعت كتب التراجم على تلمذ الآمدي لأئمة اللغة والنحو في بغداد • يقول ياقوت : « قـدم بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وغيرهم اللغـة والنحو » (٤) • ويقول القفطي : « قدم بغداد وأخذ عن الحسن ابن علي ابـن سليمان الأخفش وأبي اسحق الزجاج وابي بكر ابن دريد وابي بكر ابـن السراج اللغـة والاخبـار » (٥) • واضـاف السيوطـي (٦) والخوانساري (٧) الى هؤلاء الشيوخ ــ نفطويه •

٢ ــ شيوخه : وسنحاول في ما يلي أن نعـرض لشيء من ثقافـة هؤلاء الشيوخ الذين اجمعت كتب التراجم على تتلمذ الآمدي اهم ، وان

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٦ ، القفطي ، انباه الرواة ، ج ١ ص ٢٨٥
(٢) الفهرست ، ص ١٥٥ ، معجم الادباء ، ج ٨ ص ٧٨ ، انباه الرواة، ج ١ ص ٢٨٨
(٣) انباه الرواة ، ج ١ ص ٢٨٧
(٤) معجم الادباء ، ج ٨ ص ٨٦
(٥) انباه الرواة ، ج ١ ص ٢٨٥
(٦) بغية الوعاة ص ٢١٨
(٧) روضات الجنات ص ٢١٩

نلم بشيء من ثقافتهم ومؤلفاتهم التي يمكن أن يكون الآمدي قد حصلها، وبالتالي لنتلمس آثار هذه التلمذة في ثقافة الآمدي وآثاره الادبية .

١ ـ الحامض : سليمان بن محمد بن احمد ، ابو موسى النحوي البغدادي كان احد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين ، اخذ عن أبي العباس ثعلب ، وهو المقدم من اصحابه ومن خلفه بعد موته وجلس مجلسه وكان مشتهرا بالبيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر (١) . وتوفي في بغداد سنة ٣٠٥ هـ (٢) .

٢ ـ الزجاج : ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن السري ، اقدم اصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد ان يقرأ على المبرد ويعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه (٣) . ويقول ابن خلكان في ترجمة حياته : « كان من اهل العلم بالادب والدين المتين ... أخذ الادب عن المبرد وثعلب ... وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالادب فنسب اليه » (٤) . وتوفي الزجاج سنة ٣١٠ هـ (٥) .

وقد استشهد الآمدي بأبي اسحق الزجاج في موضعين من كتاب « الموازنة » (٦) على ان هذين النصين لا يثبتان تتلمذ لابي اسحق الزجاج وصلته به ولكن القصة التي رواها ابو القاسم المحسن التنوخي التي يبدأها بقوله : « حدثني ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ... قال : حدثني ابو اسحق الزجاج قال ... » (٧) تؤكد صلة الآمدي بأبي

---

(١) انظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٦١ ، ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٦٥ ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٤٠، بغية الوعاة ص ٢٦٢
(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٤٠
(٣) الفهرست ص ٦٠
(٤) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٢
(٥) نفس المصدر ص ٣٣
(٦) الموازنة ج ١ ص ١٧٣ ، ٢٠٤
(٧) معجم الادباء ج ٨ ص ٧٨ ، انباه الرواة ج ١ ص ١٦٥

اسحق واخذه عنه وتوثق النصوص التي وردت في كتب التراجم .

٣ ــ الأخفش : ابو الحسن علي بن سليمان الاخفش ، اخذ عن ابي العباس ثعلب وابي العباس المبرد كان حافظا للاخبار وتوفي سنة ٤١٥ ه (١) . ويبدو ان صلة الآمدي بأبي الحسن الاخفش اوثق من صلة بغيره من الشيوخ فقد روى عنه كثيرا ، ومعظم الروايات التي يرفع اسنادها الى ابي العباس ثعلب وابي العباس المبرد هي رواية عن استاذه الاخفش (٢) . وقد ذكر الآمدي انه قرأ كتاب « الكامل » للمبرد على استاذه الاخفش (٣) .

٤ ــ ابن السراج : ابو بكر محمد بن السري بن سهل البغدادي النحوي انتهت اليه الرياسة في النحو بعد موت الزجاج (٤) . وكان يقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله من السراج باصوله (٥) . وتوفي سنة ٣١٦ ه (٦) .

٥ ــ ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ ه وفيها تأدب وعلم اللغة واشعار العرب . قدم بغداد سنة ٢٢٣ ه واقام بها الى ان مات سنة ٣٢١ ه (٧) . ويقول عنه ابو الطيب

---

(١) انظر : الفهرست ص ٨٣ ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٣٣ ، معجم الادباء ج ١٣ ص ٢٤٦ ، انباه الرواة ج ٢ ص ٢٧٦ ، بغية الوعاه ص ٣٣٨

(٢) الموازنة ج ١ ص : ٢١ ،٢٨ ،٩٠ ،١٠٩ ،١٢١ ،١٢٨ ،١٣٩ ،١٤٠ ، ١٥٠ ،١٦٩ ،١٧٠ ،٥٢٤ وانظر : الموازنة ج ٢ ص : ٢٧ ،١٢٦ ، ٢٨٠ ، وكتاب « المؤتلف والمختلف » ص ٥٤ ، ٦٣ ،١٦٩ ،١٨٦ .

(٣) الموازنة ج ١ ص ٥٢٤

(٤) الفهرست ص ٦٣

(٥) معجم الادباء ج١٨ ص ١٩٩

(٦) نفس المصدر ص ٢٠٠ ، وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٦٢

(٧) الفهرست ص ٦١ ، ابو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ص ٨٤ الزبيدي ، طبقات النحويين ص ٢٠١ معجم الادباء ج ٨ ص ١٢٨ وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٥٠

اللغوي : « انتهى اليه علم لغة البصريين وكـان احفظ الناس واوسعهم علما واقدرهم على شعر » (١) • وقد جاء في النصوص المختلفة وما يثبت تلمذة الآمدي لابن دريد واخذه عنه من ذلك ما اورده ابن الانباري حيث قال : « حكى ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال : سالت ابا بكـر بن دريد ••• » (٢) • وفي ترجمة لاحد الشعراء قال الآمدي : « شاعر انشدنا له ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ••• » (٣) •

٦ ـ نفطويه : ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه ••• العتكي الازدي اخذ عن ثعلب والمبرد كان مجلسه في مسجد الانباريين في بغداد، وكان يتفقه على مذهب داود الظاهري وتوفي سنة ٣٢٣ (٤) • ويقـول الزبيدي « كان اديبا متفننا في الادب ، حافظا لنقائض جرير والفرزدق ، وشعر ذي الرمه وغيرهم من الشعراء » (٥) • وقد ورد مـن النصوص ما يؤكد تتلمذ الآمدي لنفطويه من ذلك ما جاء في ترجمة اعشى قيس اذ يقول الآمدي : ( كان ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بـن عرفـه الازدي النحوي المعروف بنفطويه أملى علينا اسماء الاعاشي فذكر ثمانية منهـم اعشى بني قيس بن ثعلبه » (٦) •

والآمدي كثير الأخذ عن شيوخه في الآراء النقدية ، وكثـيرا مـا يكتفي بنعتهم بذكر كلمة الشيوخ ، ففي قول ابي تمام

---

(١) مراتب النحويين ص ٨٤
(٢) الحريري ـ درة الغواص ـ ص ٢١ ، نزهة الالباء ص ١٧٦
(٣) المؤتلف والمختلف ـ نشر فراج ص ٢٦٩
(٤) الفهرست ص ٨١ ، تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٥٩ ، وفيـات الاعيان ج ١ ص ٣٠
(٥) طبقات النحويين ص ١٧٢
(٦) المؤتلف والمختلف ص ١٢ وانظر النصوص الاخرى في : المؤتلف والمختلف ـ نشر فراج ـ ص ١٤ ، معجـم الادباء ج ٨ ص ٧٥

اطاعها الحسن وانحط الشبـــاب على

فؤادها ، وجـــرت في روحهـــا النسب

يقول الآمدي : « وجرت في روحها النسب ، هـــو ان يقـــال : خفيفة الروح ، وعذبة الروح ونحو هذا • كذا فسره الشيوخ بعـــد ان جرى في البيت خوض طويل » (١) •

**٣ ـ تـلامذته**

١ ـ ابو الحسين علي بن دينار : وقد ورد اسمه على صدر كتاب « المؤتلف والمختلف » رواه عن الآمدي للشيخ أبي غالب بن بشران (٢)• وقد ترجم له ياقوت ، فهو : علي بن محمد بن عبـــد الرحيم بن دينـــار الكاتب ، بصري الأصل ، واسطي المولد والنشأة ، وكان شاعرا مجيدا ، شارك المتنبي في أكثر ممدوحية كسيف الدولة بن حمدان وابن العميـــد وغيرهما • وكان حسن الخط يقال على طريقة ابن مقلة • أخذ العلم عن أبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، وقرأ على الاصبهاني في كتاب الاغاني • ولد سنة ٣٢٣ وتوفي سنة ٤٠٩ هـ (٣) • وقـــال عنه ياقـــوت : « وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينار كثيرا ، وعدد كتب كلها عن أبي القاسم الآمدي عن أبي جعفر بن محمد بن قتيبة عن أبيه ، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه » (٤) •

وبالرجوع الى ترجمة أبي غالب بن بشران في معجم الأدباء وجدنـــا ما نصه : « محمد بن أحمد بن سهل ( أبو غالب بن بشران ) : مـــن أهل

---

(١) الموازنة ، ج ٢ ص ٤٠
(٢) المؤتلف والمختلف ـ نشر كرنكو ـ ص ٢٧ المؤتلف والمختلف نشر فراج ص (ك) .
(٣) انظر : معجم الادباء ج ٥ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٩
(٤) نفس المصدر ص ٣٧٩

واسط ، أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين ، تجمع فيه أشتات العلوم ، وقرن بين الرواية والدراية والفهم وشدة العناية ... واليه كانت الرحلة في زمانه ... أخذ العلم عن خلق لا يحصون منهم : أبو الحسين علي بن دينار الكاتب » (١) . وقد اورد ابن الجوزي ما يؤكد هذه الصلة قال : « ... عن أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي قال : أخبرنا أبو الحسين بن دينار قال : أنشدني أبو الفرج الأصبهاني..» (٢)

وبذلك يكون أبو الحسين علي بن دينار قد قرأ كتب الآمدي جميعها عليه ، وعنه روى أبو غالب بن بشران ، تماما كالذي جاء على صدر كتاب « المؤتلف والمختلف » .

٢ ـ عبد الصمد بن حنيش : ذكره ياقوت في صدر ترجمة لابي القاسم الآمدي قال : « وجدت كتاب القوافي بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في اسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي » (٣) وقد ذكره السيوطي قال : « عبد الصمد بن أحمد بن حنيش بن القاسم الخولاني الحمصي أبو القاسم ... وقد حكى عن المتنبي وغيره » (٤) .

٣ أبو علي ، عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكري النحوي اللغوي : ذكره الخطيب التبريزي في شرح ديوان أبي تمام ، وذكر روايته شعر أبي تمام عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٥).

---

(١) معجم الادباء ج ١٧ ص ٢١٤ ـ ٢١٥
(٢) ابن الجوحي ، المنتظم ج ٦ ص ٢٨٥
(٣) معجم الادباء ج ٨ ص ٧٥
(٤) بغية الوعاة ص ٣٠٦
(٥) ديوان أبي تمام ـ شرح التبريزي ص ٣

٤ ــ صلة الآمدي بالوزير ابن العميد

يقول ياقوت في ترجمته لحياة الآمدي : « ... وجدت خطه على كتاب تبيين قدامة بن جعفر في نقد الشعر (١) ، وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه ، وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة » (٢) . ومن المعلوم أن أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد توفي ليلة الخميس ٦ صفر سنة ٣٦٠ هـ ( ٩ كانون الاول ٩٧٠ م ) (٣) ، فماذا يمكن أن يفهم من قول ياقوت المتقدم ؟ ان ذلك قد يدل على احتمالين لا ثالث لهما : أولاهما : أن خط الآمدي على كتاب تبيين غلط قدامة الذي قرأه ياقوت ما هو الا توقيع الآمدي لاجازة احدى نسخ الكتاب الأصلي الذي كان الآمدي قد ألفه لأبي الفضل وقرأه عليه في حياته .

ثانيهما : أن يكون خط الآمدي هو نسخة أخرى عن الكتاب الأم ، وكان خط هذه النسخة سنة ٣٦٥ هـ ، أي بعد موت ابن العميد بخمس سنوات .

وأيا كان الأمر فان هنالك أكثر من سبب لتوثيق الصلة الادبية بين الرجلين . فقد كان الآمدي اماما في الأدب ، وله اتساع تام في الشعر رواية ودراية وحفظا ، وانتهت رواية الاخبار في آخر عمره بالبصرة اليه (٤) . وكان ابن العميد حريصا على أن لا يفوته شعر قديم أو محدث دون أن يقف على خبره . يقول معاصره والقيم على مكتبته المؤرخ

---

(١) في الاصل : تبيين قدامة بن جعفر ــ وتصحيحه تبيين غلط قدامة بن جعفر : أنظر : معجم الادباء ج ٨ ص ٨٥ ، انباه الرواة ص ٢٨٨ ، بغية الوعاة ص ٢١٨ ، روضات الجنات ص ٢١٩

(٢) معجم الادباء ج ٨ ص ٧٦ ــ ٧٧

(٣) راجع مقال خليل مردم بك في دائرة المعارف ــ البستاني ج ٣ ص ٣٩٥ تحت اسم : ابن العميد

(٤) انباه الرواة ص ٢٨٥ ــ ٢٨٨

مسكويه : « لقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها » (١) . ويزعم الصاحب بن عباد ( ت ٣٨٥ هـ ) أن ابن العميد وحيد عصره في النقد والبصر فيه يقول : « ... وها أنذا منذ عشرين سنة أجالس الكبراء وأباحث العلماء وأكاثر الادباء واجاري الشعراء ، بالجبال تارة، وبالعراق مرة أخرى، وآخذ من رواة محمد بن يزيد المبرد،وأكتب من أصحاب أحمد بن يحيى ثعلب ، فما رأيت من يعرف الشعر حق معرفته ، وينتقده نقد جهابذته ، غير الاستاذ الرئيس أبي الفضل بن العميد . أدام الله أيامه ، وحصن لديه انعامه ــ فانه يتجاوز نقد الابيات الى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن » (٢) . وأنشد الصاحب بحضرته كلمة أبي تمام التي أولها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي وسحت كما سحت وشائع من برد

حق انتهى الى قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي

فقال ابن العميد : « اعلم أن أحد ما يحتاج اليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ، وهذا التكرير في « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين ــ وهما من حروف الحلق ــ خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار» . فأجابه الصاحب : « هذا ما لايدركه ولا يعلمه الا من انقادت وجوه العلم له ، وانهضه الى ذراها طبعه » (٣) .

فلم يكن عجيبا أن يجمع حب الادب ونقده بين الآمدي وابن العميد، وهنالك أذواق مشتركة في النقد والأدب ــ لا بد ــ وأنها قوت من الصلات الادبية بين الرجلين فقد كان كل منهما يتعاطى مذهب الجاحظ

---

(١) تجارب الامم ج ٦ ص ٢٧٦
(٢) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ص ٣١
(٣) نفس المصدر ص ٣٤ ــ ٣٥

فيما يعمله من الكتب ويتخذه اماما • يقول ابـن النديم عن الآمـدي : « متعاطي مذهب الجاحظ فيمـا يعمله مـن الكتب » (١) • وكان ابن العميد ينوه بطريقة الجاحظ في التأليف ويقول : « كتب الجاحظ تعلـم العقل اولا ، والأدب ثانيا » (٢) وكان ابن العميد كلفا بأشعـار البحتري ويوفيه حقه الذي استوجبه بجزالة لفظه وتشابه نسجـه وغزارة طبعـه وحلاوة شعره (٣) وهو في هـذا يتفق مـع الآمدي في تفضيله مذهب البحتري وطريقته في الشعر (٤) • وعلاوة على ذلك فقد كان ابـن العميد ــ مع حبه لشعـر البحتري ــ كثير التتبع لسقطاتـه الشعرية • قـال الصاحب : « ولو تتبعت ما علقت وحفظت من الاستاذ الرئيس في هـذا الباب لاحتجت الى عقد كتاب مفرد ، ولعلي أفعل ذلك فيما بعد » (٥) • وكان ابن العميد معجبا باختيار شعر الحماسة لأبي تمام ، قال : « ولقد نظرت في الدواوين لاجد ما يلحق لكل باب منه فلم أر ما يستحق الاضافة اليه » (٦) •

ولا غرو فان اهتمام الناقدين بشعري أبي تمام والبحتري ، وميلهما الى طريقة البحتري الشعرية ، واعجابهما بالجاحظ اقتفاء أثـره في تأليف الكتب وتصنيفها دواع الى التفاهم وتوثيق الصلات الأدبية بينهما •

---

(١) الفهرست ص ١٥٥
(٢) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣ ، وانظر : معاهـد التنصيص ج ١ ص ١٧٦
(٣) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ص ــ ٤
(٤) نفس المصدر ص ٤١

## ب ــ كتاب الموازنة

قسم الآمدي خطته في الموازنة في أربعة أقسام :

١ ــ المحاجة بين أنصار البحتري وانصار أبي تمام •

٢ ــ مساوىء الشاعرين

٣ ــ محاسن الشاعرين

٤ ــ الموازنة بين معنى ومعنى

وقد قدم للمحاجة بقوله : « وأنا أبتدىء بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاولى ، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بعض على بعض » (١)

وفي رسم منهاج تتمة الكتاب يقول : « وأنا أبتدىء بذكر مساوي هذين الشاعرين لأختم محاسنها • وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام ، واحالاته وغلطه ، وساقط شعره ، ومساوي البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وغير ذلك من غلط في بعض معانيه • ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ••• ثم بين معنى ومعنى ••• ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وبابا للأمثال أختم بهما الرسالة • ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ، ويسهل حفظه ، وتقع الاحاطة به ان شاء الله تعالى » (٢) •

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٧

(٢) نفس المصدر ص ٥٤

## ١ ـ أجزاء الكتـاب

حـرص الآمدي علـى تقسيم كتابه الـى أجزاء مفردة حسب الموضوعات ، وغرضه من ذلك ان يجلو كل بحث ، ويشبعه علما واحاطـة دون أن يضطره سياق التأليف الى الايجاز والاسراع • ففي سرقات أبي تمام والبحتري مثلا لاحظ أن هناك كثيرا من الأبيات التي علم عليها طوال مدارسته لدواوين الشعراء ، لم يستطـع حصرها وقـت التأليف • هذا بالاضافة الى أن هنالك استطرادات تخرج عن سياق التأليف فأحـب أن يوفيها حقها من البحث في أجزاء مفردة •

وفيما يلي محاولة للوقوف على طبيعة هذه الاجزاء التي ذكر ياقوت أنها عشرة (١) •

### (أ) الجزء الاول :

يبدأ بالمحـاجة بـين صاحب أبي تمـام والبحتري ، ويحـوي سرقات أبي تمام أو ما نسب الى السرق من أبياته ، ثم ترك آخر الجـزء ليلحق به ما قد يطلع عليه بعد ذلك • يقول : « وأنا أذكر ما وقع الي في كتب الناس من سرقاته وما استنبطه أنا منها واستخرجته ، فـان ظهـرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها ، ان شاء الله تعالى » (٢) • وفي نهاية الجزء يقول : « قد ذكرت في الجزء الاول احتجاج كل فرقة من أصحاب أبي تمام والبحتري على الاخرى ، وفي تفضيل أحدهما علـى الآخـر ، وقلت : اني ابتدىء ـ بعد هذا بذكر معايبهما لاختـم الكتاب بـوصف محاسنهما ، فأتبعت ذلك بما خرجته من سرقات أبي تمام ، وبيضت آخر الجزء لألحق به ما وجدته منها في دواوين الشعراء فعلمت عليه ، وما لعلي

---

(١) معجم الادباء ج ٨ ص ٨٧
(٢) الموازنة ج ١ ص ٥٦

أجده بعد ذلك ، فانه كثير السرق جدا » (١) •

**(٢) الجزء الثاني :**

أغاليط أبي تمام في المعاني والألفاظ. قدم له الآمدي بقوله :

« وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والالفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال ، وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كل ما احتمل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاحت له أدنى علة » (٢) • وفي نهاية هذا الجزء يقول : « قد ذكرت في الجزء الثاني من كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري خطأ أبي تمام في الألفاظ والمعاني ، وبيضت آخر الجزء لألحق به ما يمر من ذلك في شعره ، وأستدركه من بعد في قصائده » (٣) •

وجاء في موضع من الموازنة التفصيلية قوله : « وقد بينت هذا في باب أغاليطه وهو الجزء الثاني من جملة كتاب الموازنة » (٤) •

**(٣) الجزء الثالث :**

الرذل من ألفاظ أبي تمام والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستنكره المتعقد من نسجه ونظمه ، فرش له الآمدي بقوله : « وأنا أذكر في هذا الجزء الرذل من ألفاظه والساقط من معانيه ، والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ، على ما رأيت

---

(١) الموازنة ج ١ ص ١٣٣ ، ويقع هذا الجزء في ١٣٦ صفحة من أول كتاب الموازنة الجزء الاول ــ نشر السيد أحمد صقر

(٢) الموازنة ج ١ ص ١٣٦

(٣) نفس المصدر ص ٢٤٣ . ويقع هذا الجزء بين صفحتي ١٣٦ ــ ٢٤٣ من الجزء الاول نشر السيد أحمد صقر

(٤) الموازنة ــ الجزء المخطوط ــ ص : ٩٤

المتذاكريـــن بأشعار المتأخــرين يتذاكرونــه ، وينعونه عليه ، ويعيبونه بــه » (١) •

**(٤) الجزء الرابع :**

مساوىء البحتري ، ويبدأ بماصورته : « قال أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي : « لما كنت خرجت مساوي أبي تمام وابتــدأت منهــا بسرقاته وجب أن أبتدىء من مساوي البحتري بسرقاته ••• فأما مساوي البحتري من غير السرقات ـــ فقد حرصت واجتهدت أن أظفر لـــه بشىء يكون بازاء ما أخرجتــه من مساوي أبــي تمام في سائر الانواع التــي ذكرتها ، فلم أجد في شعره ـــ لشدة تحرزه ، وجودة طبعــه ، وتهذيب ألفاظه من ذلك الا أبياتا يسيرة ، أنا ذراكرها عنـــد الفراغ من سرقاته ، فان مر بي شىء منها ألحقته به ان شاء الله تعالى » (٢) •

واذا صح ما جاء عن الدكتور مندور في أن غلاف الجزء المخطوط من كتاب الموازنة ، يحمل ما نصه : « الكتاب الثامن من الموازنة » (٣) في بداية الموازنة بين الطائيين ، وجب أن تتساءل عــن الأجزاء الثلاثــة الاخرى ، وهي الخامس والسادس والسابع من تجزئة المؤلف ، ونرجــح أنها كالتالي :

**(٥) الجزء الخامس :**

كتاب الرد على أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالعزيز فيما نعاه على ابي تمام من الاغاليط • يقــول الآمدي : « وقد بينت غلطه فيما أنكر عليه من الصواب في جزء مفــرد

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٤٣ . ويقع هذا الجزء بين دفتي الجزء الاول نشر السيد أحمد صقر ـــ من ص ٢٤٣ ـــ ٢٩١

(٢) الموازنة ج ١ ص ٢٩١ ـــ ٢٩٢ ، وانظر : ص ٣٠٣ من نفس المصدر

(٣) النقد المنهجي عند العرب ص ١٥٣

ان أحب القارىء له أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله بأجزائه فعل ذلك ان شاء الله تعالى ، فان الذي تضمن يدخل في محاسن أبي تمام التي ذكرت أني اختم كتابي هذا بها وبمحاسن البحتري » (١) •

**(٦) الجزء السادس :**

معاني قد وهل • قال الآمدي في ذلك : « وقد استقصيت القول في هذا الباب وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره في معنى قد وهل ، ولخصته في جزء مفرد ، وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضني فيه وادعى الدعاوى الباطلة في الاحتجاج لصحته » (٢) •

**(٧) الجزء السابع :**

غامض معاني أبي تمام : وقد ألمح اليه الآمدي في بحثه أخطاء أبي تمام اذ عرض لبيت المرار :

فلو كانت تجوب الارض عرضا ولكن جوبهن الارض طولا

وفيه وفي بيت أبي تمام :

يوم كطول الدهر في عرض مثله ووجدي من هذا وهذاك أطول

يقول : « وله ولبيت أبي تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعاني الغامضة من شعر أبي تمام » (٣) • فهو قد صرح بأنه سيتناول معاني أبي تمام الغامضة بالشرح ، واذا علمنا أن الآمدي قد أشار الى هذا الجزء في مواضع متعددة من الموازنة التفصيلية بين الشاعرين تيقنا أن هذا الجزء من ضمن الأجزاء الثلاثة التي سبقت اشارتنا اليها • ففي تعليق الآمدي على بعض أبيات لأبي تمام قال : « وهذه

---

(١) الموازنة ج ١ ص ١٣٦
(٢) نفس المصدر ص ٢٠٤ — ٢٠٥
(٣) نفس المصدر ص ١٩٢

الابيات صالحة ، والمذهب فيها غير مستحلى ، ولا مشتهى ، وفيها معنى غامض في الاحتجاج عليها يجوز أن يكون أراده • وقد ذكرته في « جزء » أفردته لغامض معاني أبي تمام » (١) • وفي شرح أحد الابيات لأبي تمام قال : « وقد فسرت معناه في جملة أبيات من شعره جعلت لتفسيرها جزءا مفردا » (٢) • وفي بيت آخر قال : « قد شرحنه في جزء أخرجت منه الغامض من معانيه فاطلبه هناك » (٣) •

**(٨) الجزء الثامن :**

وهو الموازنة التفضيلية بين الشاعرين في المعاني المختلفة ، ويبدأ هذا الجزء بما صورته : « قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي : وأنا أذكر باذن الله الآن في هذا الجزء انواع المعاني التي يتفق فيها الطائيان ، وأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول : أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبني أن أتعدى هذا الى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الاطلاق فاني غير فاعل ذلك ••• » (٤) • ويحوي بابا صغيرا في النقد ، وباين في فضل ابي تمام والبحتري (٥) • وبعد ذلك يخلص الى الموازنة التفضيلية ويستمر هذا الجزء من آخر المجلد الاول ، ويستغرق المجلد الثاني والجزء المخطوط الذي ينتهي بنهاية باب وصف الشاعرين لشعرهما (٦) •

وقد جاء في آخر الجزء المخطوط ما نصه : « نجز كتاب الموازنة بين الطائيين والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين•

---

(١) الموازنة ج ٢ ص ٣٠

(٢) الموازنة الجزء المخطوط ص ١٢٢ ب

(٣) نفس المصدر ص : ( ١٣٥ د )

(٤) الموازنة ج ١ ص ٣٨٩ — ٣٩٠

(٥) انظر : نفس المصدر ص ٣٨٩ — ٤٠٥

(٦) الموازنة ــ الجزء المخطوط ص : ١٤٦ م

وقع الفراغ من تحريره يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٩٤ هـ » (١) •

وأما الجزءان التاسع والعاشر فأقدر أنهما كانا يشتملان على بابي التشبيه والامثال ثم الاختيار المجرد من شعري الطائيين مرتبا على حروف المعجم كما أشار الى ذلك الآمدي نفسه في وضع منهاج الكتاب (٢) • وعلى ذلك يكون الكتاب في عشرة أجزاء كما اشار ياقوت •

**٢ - منهج الكتاب :**

قام الآمدي بجمع كل ما وصل الى يديه من كتب وروايات وآراء ونصوص تتعلق بأبي تمام والبحتري وشعريهما ، ثم أورد ما يهمه من هذه الروايات على صورها الاصلية ، وبعد ذلك أخذ في مناقشتها وتمحيصها ، وتحقيق نسبة النصوص وأخذ الصالح منها ، وأضاف الى ذلك ما سمعه من روايات الى جانب آرائه الخاصة ، وأحسن استخدام الثقافات في عصره ، فكانت روحه علمية في كل ما جمع وألف واستنتج • وفيما يلي محاولة لاثبات صحة ما نذهب اليه :

**(١) الرجوع الى المصادر :**

عرض الآمدي لذكر جميع المصادر الادبية وغير الادبية التي أخذ عنها ، ولم يكتف بالاشارة السريعة اليها ، بل كان يردفها يذكر مؤلفيها ، ويحدد موضع الاخذ من الكتاب في أغلب الاحيان ففي قول أبي تمام :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت
سلام سلمى ومهما أورق السلم

يقول الآمدي : « وقد عابه أبو العباس عبد الله بن المعتز ببعض

(١) الموازنة — الجزء المخطوط ص ١٤٦ أ
(٢) نفس المصدر والصفحة

هذه الأبيات في كتاب البديع ، جاء بها في قبح التجنيس » (١) •

وفي الاشارة الى كتاب « سرقات الشعراء » لابـن المعتز يقـول الآمدي : « قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله في كتاب « سرقـات الشعراء» وبهذا البيت اغتر الطائي حتى اتـى بما أتى بـه» (٢) • وفي موضع آخر : « وقد ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ••• » (٣) •

**(٢) تحقيق النصوص ونسبتها :**

ويحرص الآمدي على البت في أمر النصوص المختلفة ، فيوثقها ان توافرت الادلة على صحتها ، أو يبدي شكه فيهـا ان لم تحتمل النقـد الصحيح • ففي بيت بعض شعراء بني أسد :

تغيبت كي لا تجتوينـي دياركم  ولو لـم تغب شمس النها لملـت

يقول الآمدي : « وظننته مصنوعا حتى وجدت عبد الله بن المعتز ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء عجز هذا البيت :

ولو لم تغب شمس النهار لملت

للكميت بن زيد » (٤) •

وفي بيت الابيرد بن المعذر الرياحي :

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا  وكنت يذكر الجعفرية مولعا

يقول الآمدي : وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيـدة لامرىء القيس على هذا الوزن ، وذلك باطل » (٥) •

وفي بيت أبي تمام :

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٦٩
(٢) نفس المصدر ص ٢٥٧
(٣) نفس المصدر ص ٢٨٦
(٤) نفس المصدر ص ٧٤
(٥) فس المصدر ص ٤١٧

وأشجيت أيامي بصبر حلون لي عواقبــه ، والصبر مر عواقبه

يقول الآمدي : « كذا رواه ابن أبي طاهر ... ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه » وانما قال : « والصبر مثل اسم صبر » (١) .

وفي رد الابيات الى قائليها يقول : « قال ابن قيس الرقيات ووجدتها في ديوانه ، والصحيح أنها لابي العباس الاعمى :

حلماء اذا الحلــوم استخفت بوجوه مثل الدنانــير ملس (٢)

وفي نقد الشعر وتمييز قائليه يقــول : « وفي مــا أنشــده المبرد لأعرابي :

وادنو فتقصيني ، وأبعد طالبا رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

وشكواي تؤذيها، وصبري يسرها وتجزع من بعدي ، وتنفر من قربي

يقول الآمدي : « وليس هو عندي من كلام الاعراب ، وهو بكلام المولدين أشبه » (٣) .

هذا بالاضافة الى الرجوع ــ في تحقيق شعر أبي تمام والبحتري ــ الى مختلف النسخ من ديوانيهما ، ومقارنة صحة هذه الدواوين بعضها مع بعض .

ففي قول أبي تمام :

نوى كانقضاض النجم كانت نتيجة من الهزل يوما ان هزل الهوى جد

يقول الآمدي : « ولولا أنه في سائر النسخ « ان هزل الهــوى ، لظننته ما قال الا هزل النوى » (٤) .

وفي بيت أبي تمام :

اذا عمدت لشأو خلت أني قــد أدركته ــ أدركتني حرفة العرب

---

(١) الموازنة ج ١ ص ١٢٩
(٢) نفس المصدر ص ١٤١
(٣) الموازنة ج ٢ ص ١٣٥
(٤) نفس المصدر ص ٤٦

يقول الآمدي : « وقد رواه قوم « الادب » انكارا لذكــر العرب هاهنا ، وغيره في عدة من النسخ القديمة • والذي في نسخة أبي سعيــد السكري وابي العلاء محمد بن العلاء وغيرهما « العرب » (١) •

وكثيرا ما يردد الآمدي ذكر النسخ المختلفة التي رجع اليها كقوله : « وكذلك وجدته في اكثر النسخ » (٢) وقد رأيت في بعض النسخ (٣) • ووجدت في اكثر النسخ العتق ••• » (٤) •

**(٣) ترجيح الروايات :**

ويوازن الآمدي بين الروايات المتضاربة ، ويرجح اقربها الى الصحة وأثبتها في ميزان العقل • من ذلك ما روى عن البحتري أنه كان يكنى أبا عبادة ، ولما دخل العراق تكنى بابي الحسن ، ليزيل العنجهية والاعرابية ، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة ، ويتقرب بهذه الكنية الى اهل النباهة والكتاب من الشيعة ، وما ذكره بعضهم أنه كان يكنى ابا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه في التعصب عدل عن ابي عبادة ، يقــول الآمدي : « والاول أثبت » (٥) •

ولم يقف الآمدي في بحثه عند الكتب المؤلفة ، بل أضاف الى ذلك كل ما سمعه مشافهة من الرواة والشيوخ وغيرهم من أهل العلم فيمــا يتعلق بشعري أبي تمام والبحتري • ويحرص على نسبة هذه الروايــات الى قائليها من ذلك قوله :

« وقد أخبرني ــ أنا ــ رجل من أهل الجزيرة يكنى أبا الوضاح ، وكان عالما بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما أن القصيدة التي سمعها

---

(١) الموازنة ج ٢ ص ٢٥٧
(٢) الموازنة ج ١ ص ٣٨٦
(٣) نفس المصدر ص ٣٨٧
(٤) الموازنة ــ الجزء المخطوط ــ ص : ١٣٣ أ
(٥) الموازنة ج ١ ص ٢٦

أبوتمام من البحتري عند محمد بن يوسف ــ وكان اجتماعهما وتعارفهما ــ القصيدة التي أولها :

فيم ابتداركما الملام ولوعا  أبكيت الا دمنة وربوعا (١)

ومن ذلك قوله : « والذي أرويه عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني وكان صديق البحتري ــ أنه قال ... » (٢) وقوله : « أنشدني ابن ابي طاهر لدعبل ... » (٣) وقوله : « قال رجل من بني أسد ، وكان ابو عبد الله الحوشي أحد شعراء النسابين أنشدنيه لبعض شعراء بني أسد ... » (٤) .

وفي مناقشته لأصحاب أبي تمام والوقوف على مذاهبهم المختلفة يقول الآمدي : « وجدت أكثر اصحاب أبي تمام لا يدفعون البحتري عن حلو اللفظ ، وجودة الرصف ، وحسن الديباجة ... ويحكون مع هذا بأن أبا تمام أشعر منه . وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا » (٥) .

**(٤) الرجوع الى أهل الاختصاص :**

وتبدو دقة الآمدي في البحث ، والمنهجية في التأليف في الرجوع الى أهل الاختصاص ــ كل في ميدانه ــ فيما دق عليه من معان ، بحيث لم يترك مجالا للحدس أو الوهم . ففي :

**باب الخيل :**

يرجع الى كتاب « الخيل » لأبي عبيدة في الاستشهاد على معاني

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٦
(٢) نفس المصدر ص ١٢
(٣) نفس المصدر ص ٩١
(٤) نفس المصدر ص ٧٤
(٥) نفس المصدر ص ٤٠٠

بعض الالفاظ التي تختص بالخيل (١) •

**باب الانواء :**

يرجع الى كتاب « الانواء » لأبي حنيفة الدينوري في معرفة أحوال الرياح واوصافها ونعوتها (٢) •

**باب الغريب من المفردات :**

يرجع الى ابن الاعرابي في « نوادره » (٣) والى أبي زيد في نوادره (٤) • وفي تفسير كلمة « التلهوق » التي وردت في بيت لابي تمام يقول الآمدي : « وقد ذكر أبو عبيد القاسم في « الغريب المصنف » في أول نوادر الاسماء — التلهوق — وقال : وهو مثل التملق » (٥) •

ويستأنس الآمدي برأي الاعراب في تحديد معنى كلمة « الخريدة» في اللغة قال : « حكى اللحياني قال : سمعت أعرابيا من كلب يقول :

الخريدة : الدرة التي لم تثقب وهي من النساء البكر » (٦) •

**باب اللغة والتفسير :**

يرجع الى آراء المبرد (٧) ، والزجاج (٨) والكسائي (٩) والفراء (١٠) وأبي عبيدة (١١) وابن دريد (١٢) وغيرهم •

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٨٦
وانظر : الجزء المخطوط ص : ١٣١ ب
(٢) الموازنة ج ١ ص ١٥٦ ، ٤٥٦
(٣) نفس المصدر ص ١٥٦ ، ٣٦٢
(٤) نفس المصدر ص ٤٦٦ ، ٥٢٤
(٥) نفس المصدر ص ٢٣٥
وانظر الجزء المخطوط ص : ١١٧ ب
(٦) الموازنة ج ١ ص ١٦٠
(٧) نفس المصدر ص ١٧٣
(٨) « « والصفحة
(٩) « « «
(١٠) « « «
(١١) « « «
(١٢) الموازنة ج ١ ص ١٠١

## جـ ـ قيمة الموازنة النقدية

جاء الآمدي بعد تراخي الزمن على الخصومة الأدبية التي قامت حول شعر أبي تمام والبحتري فوجد عدة كتب قد ألفت في الدفاع عن شعر أبي تمام وتقديمه كما ألفت الكتب في الطعن عليه والغض منه . ومعلوم أن وفاة أبي تمام كانت سنة ٢٣١ هـ (١) والبحتري سنة ٢٨٥ (٢)

ويبدو أن فكرة الموازنة أو على الاقل فكرة تحديد خصائص كل من الشاعرين كانت مختمرة في ذهن الآمدي . فهو يقول في المقدمة : « هذا ما حشت أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد ـ على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري في شعريهما » (٣) . واذا لم يكن للمخاطب ـ في المقدمة ـ من فضل أكثر من الحث والتشجيع على تلخيص الكتاب من المسودات أو الملاحظات المكتوبة . هذا وقد صرح الآمدي نفسه انه كان قد أخذ نفسه بدراسة شعري أبي تمام والبحتري منذ عهد مبكر من حياته ، فكان يتلقط محاسنهما في الشعر ويلحق بهذه المحاسن كل ما وجده بعد ذلك على مر الاوقات » (٤) . واذا علمنا أن الآمدي كان يكتب لأبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قاضي البصرة وكان يحضر به في مجلس الحكم (٥) أيقنا أن أبا جعفر هذا كان قد رأى من ألمعية الآمدي ونفاذ نظره في الأحكام ما جعله يحضر به في مجلس حكمه ، ومثل

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٣٩ وانظر الصولي – أخبار البحتري ص ٦٦

(٢) أخبار البحتري ص ١٩١

(٣) الموازنة ج ١ ص ٥

(٤) نفس المصدر ص ٥٢

(٥) معجم الادباء ج ٨ ص ٨٦

هذا النص الهام لا بد وأن يكشف أمامنا سبلا كثيرة للوقوف على منهج الآمدي في وساطته بين المدرستين النقديتين المتنازعتين ، فالآمدي يوازن بين الفريقين موازنته بين الخصوم في مجلس القضاء ، وهو لا يصدر حكما الا بعد ان يأتي على الصغيرة والكبيرة من أقوال الخصوم زد على ذلك أنه يأتي بالمحاجة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري على نفس النسق الذي يتم فيه سماع أقوال الخصوم في مجلس الحكم •

## ١ ـ خطة الآمدي في الموازنة ومنهجه النقدي

جاء الآمدي فوجد مدرستين نقديتين متباينتين ، مدرسة الكتاب والاعراب والشعراء المطبوعين وأهل البلاغة ، وهؤلاء ـ كما يقول الآمدي ـ فضلوا البحتري على صاحبه ونسبوه الى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني (١) • ومدرسة أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام وهؤلاء فضلوا أبا تمام ونسبوه الى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج (٢) • وقد أشار الآمدي الى أن اختلاف الناس في الحكم وتباينهم في الآراء أمر طبيعي ما دام هؤلاء يتباينون في الذوق ، فهم لم يتفقوا على أي الاربعة أشعر في امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا في جرير والفرزدق والأخطل ولا في بشار ومروان والسيد ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والعباس بن الاحنف (٣) •

ويذهب الآمدي الى أبعد من ذلك حيث يقول : ولست أحب أن أطلق بأيهما أشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في

(١) الموازنة ج ١ ص ٦
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) نفس المصدر ص ٧

الشعر ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين » • (١) فهو لا يريد أن يصرح بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر وانما يريد أن يحيط علما بكل ما يتصل بالشاعرين من جودة واحسان أو خطأ وتقصير ويبصر الناس بمواطن القوة والضعف في كل شاعر ثم يترك للخصوم أمر التسليم بالحكم من تلقاء أنفسهم وذلك بعد أن يكونوا قد عرفوا مواطن الجودة والرداءة فينصرفوا راضين مسلمين كما يرجع المتخاصمون من مجالس الحكم والقضاء • والآمدي يقر بتأثير العامل النفسي في الحكم ولكنه سيعمل جاهدا على كبحه والحد منه وهو بذلك يتفق مع ما يكاد يكون من البديهيات في علم النقد الحديث• يقوله الاستاذ الفرنسي لانسون ( ت ١٩٣٤ م ) في صدد كلامه عن المنهج العلمي في النقد الأدبي : « واذا كانت أولى قواعد المنهج العملي هي اخضاع نفوسنا لموضوع دراستنا لكي ننظم وسائل المعرفة وفقا لطبيعة الشيء الذي نريد معرفته فاننا نكون أكثر تمشيا مع الروح العلمية باقرارنا بوجود التأثرية في دراساتنا وتنظيم الدور الذي تلعبه فيها وذلك لأنه لما كان انكار الحقيقة الواقعة لا يمحوها فان هذا العنصر الشخصي الذي نحاول تنحيته سيتسلل في خبث الى أعمالنا ويعمل غير خاضع لقاعدة ، وما دامت التأثرية هي المنهج الوحيد الذي مكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها فلنستخدمه في ذلك صراحة ولكن لنقصره على ذلك في عزم ، ولنعرف مع احتفاظنا به كيف نميزه ونقدره ونراجعه ونحده ••• » (٢)•

وقد أشهد الآمدي الله على قلبه في تحريه العدل منذ بداية الموازنة فنجده يقول : « وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة وأحسن في اعتماد الحق وتجنب الهوى بمنه

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٦
(٢) كما ورد في النقد المنهجي عند العرب ــ ص ٤٠٦

ورحمته » (١) • ويقول عند بداية الموازنة التفصيلية بين الشاعرين : « وبالله أستعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل » (٢) •

ومثل هذه الاستعانة لا يمكن ان يقلل من أهميتها وهو الذي كان يحضر به في مجلس القضاء للحكم بين المتخاصمين ، ومثل هذا المجلس محفوف بالمخاطر ان لم يؤخذ بحقه ، وكلنا يعلم رأي الاسلام في ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « قاض في الجنة وقاضيان في النار » وذلك تحرجا من الهوى في الحكم •

ويبدو أن فكرة المقارنة بين قصيدة وقصيدة كانت عند الآمدي على غرار ما نلحظه في قصائد النقائض بين جرير والفرزدق من تناول نفس الموضوع واتحاد الوزن والقافية حيث صرح في مقدمة كتاب « الموازنة » أنه سيقارن بين قصيدة وقصيدة من شعري أبي تمام والبحتري اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ثم يقول ايهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى » (٣) • ولكنه سرعان ما وجد أن الصياغة ليست أكثر من ثوب خارجي ، فعدل عنها الى المقارنة بين الشاعرين في المعاني التي هي الغرض والجوهر قال : « وقد انتهيت الآن الى الموازنة وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد » (٤) • ويصرح الآمدي بأنه سيقارن بين معنى ومعنى وينص على الجيد ويفضله وعلى الرديء ويسترذله ولكن لا يقف عند ذلك بل يعزز ذلك بالعلل والأسباب • وقد

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٥
(٢) نفس المصدر ص ٤٠٥
(٣) نفس المصدر ص ٧
(٤) نفس المصدر ص ٤٠٥

فرق الآمدي بين نوعين من التعليل أولاهما ما تحيط به العبارة وتقوم عليه الحجة وثانيهما ما لا يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهو علة ما لا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة ــ كما يقول ــ من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة » (١) .

والواقع أن آراء الآمدي هذه قد حددت أبعاد العمل النقدي بما يتفق والمفهوم الحديث للنقد للأدبي ، فالتأثرية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها كما سبق أن قدمنا ، والذوق الأدبي هو المرجع الاول والأخير في الحكم على الآثار الادبية ، ولسنا نعني بهذا الذوق ان يكون غفلا ولكننا نقصد به الذوق الذي كونته الدربة وطول التمرس بالنصوص الادبية ، وبعد ذلك فمن حق أهل العلم ــ وهم أحذق من غيرهم في صناعتهم ــ أن يسلم لهم بالأحكام (٢) . وقد ساق الآمدي أمثلة ضافية على ذلك منها البصر بالخيل والرقيق والجواري وأصناف الثمر والتمييز بين الدرهم الصحيح والزائف . وهو في ذلك تلميذ ابن سلام الجمحي الذي قال : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلوم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان » (٣) . ويؤكد ابن سلام على مبدأ المدارسة يقول : وان كثرة المدارسة لتعدي على العلم به فكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به (٤) .

ويرى الآمدي ان أهل العلم بالشعر ــ كغيرهم من أهل العلوم

(١) الموازنة ج ١ ص ٣٨٨
(٢) نفس المصدر ص ٣٩٩
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٦
(٤) نفس المصدر ص ٨

والصناعات ـ يتفقون على مبادىء كثيرة ويسلمون بصحتها كما يتفق الجهابذة بالنقد على تمييز الدرهم الزائف من الصحيح • ويرى أن ليس بوسع أحد آن يأتي بعلة قاطعة وحجة قاهرة يقول : « وانه ليس في وسع كل أحد ان يجعلك أيها السائل المتعنت ، أو المسترشد المتعلم في العلم بصناعته كنفسه، ولا يجد الى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بصلة قاطعة ولا حجة باهرة ، وان كان ما اعترضت به اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤالا مستقيما ، لأن مالا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام ، لا يجوز أن تحيط به في ساعة من نهار • ثم ان العلم الذي لا يعلم في أكثر أحواله الا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة ، وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة ظاهرة وهي : أنه لا يمكنه أن يشاهد بك جميع المعلومات التي اختبرها وعلم علمه منها بملابستها في السنين الطويلة » (١) •

وبذلك تبدو شخصية الآمدي النقدية ، فهو يجمع بالاضافة الى الذوق الأدبي الاصيل قدرة على التعليل والايضاح ، يعزز ذلك خبرة بالشعر وطول ملابسة له تقرب من الطمأنينة الى أحكامه النقدية وخاصة في ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة • وقد نوه القاضي الجرجاني بصحة الطبع وادمان الرياضة النقدية قال : « ••• فهما أمران ما اجتمعا في شخص فقصرا في ايصال صاحبهما عن غايته ، ورضيا له بدون نهاية » (٢) •

ان كتاب الموازنة يعتبر بحق أعظم ما وصل اليه النقد الأدبي عند العرب ، أحسن فيه الآمدي استخدام الثقافات في عصره ، وخطا بالنقد

(١) الموازنة ج ١ ص ٣٩٢
(٢) الوساطة ص ٤١٣

خطوات واسعة حيث نقله من دائرة الذوق الذاتي الذي تنقصه الدربة وتعوزه الأدلة ، والذي كان فيه كل الناس أعلم الناس كما قال أحد الرواة الى الذوق القائم على الدربة ولكنه يفتقر الى التعليل وذلك أكثر نقد العلماء بالشعر في القرنين الاول والثاني الهجريين وذلك كثير في أول كتاب نقدي وضع عند العرب وهو كتاب « الطبقات » لابن سلام الجمحي ، ثم الى الحكم النقدي القائم على الذوق والاحتجاج معا وبذلك أصبح النقد وسيلة مشروعة يمكن أن تصل الى الغير ، وقد استثنى الآمدي من ذلك أحكاما يرى صحتها ولا يستطيع أن يعبر عنها بالألفاظ تماما كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة : « اني لأجد بيانها في قلبي ولكن ليس ينطلق لساني » (١) وكما أجاب اسحق الموصلي وقد سأله المعتصم عن معرفة النغم بقوله : « ان من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة (٢) •

ولم يضف الى رأي الآمدي هذا جديدا سوى الامام عبد القاهر الجرجاني الذي لم يرض أن يقف عند هذا الحد وقال : ان الذوق اذا حكم على كلام بالحسن فان هذا الحكم يجب أن يعلل وبهذا تفتح أمامنا آفاق المعرفة (٣) • وهذا الموقف في رأيه ـ كما يقول الدكتور محمود السمرة يقودنا الى رفض أي قول دون برهان ودليل • أما التسليم بحكم الذوق غير المعلل ، فيقود الى الاختلاف ، والاتهام بسوء الاستنباط ، وفساد الذوق ، ما لم يصل غير الناقد الى مثل ما وصل اليه (٤) •

---

(١) الوساطة ص ٤٣٠
(٢) الموازنة ج ١ ص ٣٩٣
(٣) السمرة ، محمود ـ القاضي الجرجاني ص ١٥٧ ، وانظر دلائل الاعجاز ص ٣٣ •
(٤) السمرة ص ١٥٧

## ٢ ـ قيمة الموازنة كمنهج نقدي :

قارن الآمدي بين أبي تمام والبحتري في جزئيات الأحكام وترك الحكم العام للقارىء بعد أن بصره بكل ما يتصل بالشاعرين من جودة أو ضعف • ولو جمعنا النقاط التي يتفوق فيها البحتري على صاحبه اوجدناها تزيد زيادة ضافية على تلك التي يسجلها أبو تمام ، ونحن ـ بدورنا ـ نرى أن الموازنة أمر مشروع في النقد الأدبي وليس المهم الوصول الى حكم نهائي في الأعمال الأدبية بل نذهب الى أبعد من ذلك نرى رأي جيمس ريفز James Reeves حيث يقول : « الناقد الجيد هو الذي يعترف بتواضع آنه لن يصل الى حكم نهائي ويجب عليه أن يعترف أن مواهبه الشخصية لا تمكنه من الحكم النهائي على العمل الادبي المعقد ، والذي يؤمل أن يحققه الناقد هو أن يكتشف بعض العناصر الجمالية في العمل الأدبي لم تكن معروفة أو يضيف جديدا ، واذا لم نستطع الوصول الى أحكام نهائية ومقاييس ثابتة في الحكم على الأعمال الأدبية فلا يعني أننا يجب أن لا نحاول ذلك » (١) •

ولكن الذي نأخذه على الآمدي هو عدم تقييم تراث الشاعرين كلا واحدا دون تجزئة فنحن لا نستطيع الحكم على رواية لشكسبير مثلا دون أن نقرأ كل أعماله الادبية والصورة الكلية التي يخرج بها القارىء لديوان كامل للشاعر تفترق عن الصورة المبنية على الأحكام الجزئية ـ المتفرقة ، ولعل أقرب مثال على ذلك هو جمال الوردة الناشىء عن

1) Reeves, James «The Critical Sense» P. 13

انسجام وتوافق أجزائها وأوراقها ولونها وواضح أن هذا الجمال غيره الذي ينبع عن تجزئة هذه الوردة والحكم على مجموعة الاجزاء منفصلة. أضف الى ذلك أن حكم الآمدي ظل أسير ذوقه الأدبي وأغلال عمود الشعر عند العرب ففاز البحتري بأغلبية النقاط بينما كان أبو تمام يقصد الى التفلت من أغلال المعايير القديمة ، بل كان يهدف الى التميز والثورة عليها فهو قد كان يقول من الشعر ما يشتهي (١) وكان يسأل عن البيت الضعيف الى جانب القوي فيجيبهم بأن لبنات أفكاره هي بمرتبة الابناء ولا يقلل أبدا من محبة الوالد ضعف أو عاهة عند أحدهم فاذا لم يكن لاستواء الشعر عنده من منزلة أضف الى ذلك أنه قصد بالصنعة سائر شعره ، وشره الى ادخال ثقافات عصره من تاريخ وسيرة وفلسفة ما وجد الى ذلك من سبيل ، وكان يتعمد الاغراب في الاستعارة ويحوم على أوجه شبه تدق على غيره ، وكان يرى أن الشاعر أبدا في منزلة الريادة والكشف ومن أراد أن يتذوق الروائع الأدبية فعليه أن يصعد اليها لا أن تنزل اليه ، وليس من باب الطرافة اجابته على سؤال من سأله لم تقول ما لا يفهم قوله : « لم لا تفهم ما يقال » .

وقد لقي انتاج أبي تمام الأدبي رواجا كبيرا عند الصفوة الفكرية من أهل بغداد والتي كانت أكثر الناس احساسا بتغير روح العصر في القرن الثالث الهجري بما تميز به من ترف فكري وغنى أدبي وسبق ثقافي وتأنق في شتى مجالات الحياة . وقد فطن الآمدي الى ذلك حين اعترف بأن من فضل أبا تمام هم أهل المعاني وفلسفي الكلام ومن يميل الى التدقيق ، وبكلام آخر نستطيع القول ان شعر البحتري كان مسطحا بينما تميز شعر أبي تمام ببعد ثالث هو العمق الفكري ، فهل يحق لنا أن نحكم على المؤلفات في اللغات والتاريخ حكمنا على المؤلفات في الفيزياء والكيمياء والرياضيات ؟ ان الآمدي قد حكم على شعري الشاعرين من خلال

---

(١) شرح ديوان الحماسة المقدمة ص ١٣

مقاييس عمود الشعر والتي كان البحتري أكثر تلبية وتحقيقا لها في شعره، وكان أولى بالآمدي أن لو نحى معايير عمود الشعر في حكمه على شعر أبي تمام جانبا ، وحاول تذوق هذا النتاج الأدبي من خلال الجودة والابداع حتى ولو لم يكن على قواعد من أساليب العرب في القول وطرقهم في النظم ولعل في رد ابن الأعرابي « ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » (١) الكثير من الصواب • فكلام ابن الاعرابي لا ينفي الجودة عن شعر أبي تمام لكنه يرى أنه اذا كان هذا شعرا وهذا الكلام جيد بالطبع ــ فمعنى ذلك أن المفهوم العربي للشعر قد تغير • وقد أثبت الزمن أن منحى أبي تمام في التجديد قد ساير نهج التطور بينما جمدت أغلال عمود الشعر عند القواعد والتقنين •

ولا نريد أن نقف طويلا عند معايير عمود الشعر كما فهمها العرب فقد لخصها الشيخ أبو علي المرزوقي في مقدمة شرح كتاب الحماسة في سبعة أبواب قال : « انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والاصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما » (٢) •

أما الذوق الأدبي عند الآمدي وان كان يصدر عن هذه المعايير فان له خصائصه التي تميزه عن غيره • ولا بأس من الوقوف قليلا عند هذا الذوق كما نراه جليا في كتاب « الموازنة » •

يفضل الآمدي الطبع على التكلف ، وعفو الخاطر على كد الذهن ومغالبة القريحة ، والمقاربة في الوصف ووضوح وجه الشبه على غيره

(١) الموازنة ج ١ ص ١٩
(٢) شرح الحماسة ــ المقدمة ــ ص ٣

مما حرم هذه الصفات • وواضح أن هذه الخصائص أوفر في الشعر الجاهلي والاسلامي منها في شعر المولدين والمتأخرين ، ولذلك لم يكن الآمدي بضبط استحسانه لجيد الشعر في موازنة بين أبي تمام والبحتري في المعاني المختلفة دون أن يجاوز ذلك الى الاستشهاد بغرر الشعر الجاهلي والاسلامي • من ذلك موازنته بين أبي تمام والبحتري فيما قالاه في وصف الاطلال فبعد أن يأتي على شعريهما يورد قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

ويعلق على ذلك بقوله : « وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه ، وكان الفرزدق اذا أنشده يسجد ويقول : انا نعرف مكان السجود في الشعر كما تعرفونه في القرآن » (١) • وفي باب طروق الخيال يقول الآمدي : « وما علمت أحدا من القدماء قال في طروق الخيال أحسن من قول قيس بن الخطيم :

أنى سربت وكنت غير سروب
وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد توتينه
في النوم غير مصرو مسحوب (٢)

أما عن المقاربة في الوصف فيقول الآمدي : « ••• ومن حذق الشاعر أن يصور لك الأشياء بصورها ، ويعبر عنها بألفاظها المستعملة فيها واللائقة بها ، وذلك مذهب البحتري وصناعته ولهذا كثر الماء والرونق في شعره ، وقالوا لشعره ديباجة وما قيل ذلك في شعر أحد من المتأخرين غيره » (٣) •

(١) الموازنة ج ١ ص ٤٦١
(٢) الموازنة ج ٢ ص ١٨٦
(٣) نفس المصدر ص ١٩٩

ويميل الآمدي الى أن أجود الشعر أصدقه وليس أكذبه كما يقول قوم من الرواة (١) لأن الشعر كل ما دناه من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة (٢) • ويضيف الآمدي قوله : « وما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقي وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو » (٣) •

وقد فرق المرزوقي بين الصدق والكذب في الشعر وجودته وبين أن تجويد الشعر مع كونه في اسار الصدق يدلك على الاقتدار والحذق ، الا أن الشاعر اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة ، وتصرف في التصور الشعري كيف شاء ، لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق (٤) •

وقد خطا الامام عبد القاهر الجرجاني خطوة أخرى في هذا التمييز حين قسم المعاني الى عقلية وتخييلية وبين أن المعاني التخييلية هي مجال السبق والابداع ، وذلك لأن الشاعر يبصر آفاقا أوسع تعز على غيره ، ويلمح أوجه شبه وصلات بين الأشياء يدق على غيره رؤيتها ، والى مثل هذا الرأي أشار أرسطو بقوله : الاستعارة سمة العبقرية •

ان أحكام الآمدي على أبي تمام جاءت من خلال مقاييس عمود الشعر فما وقع من شعره ضمن هذا الاطار — وهو قليل — كان الآمدي يحسن تذوقه والكشف عن مواطن الجودة فيه ، وما ند عنه لم يكن عند الآمدي بالجيد ولا المقبول لأنه ليس على أساليب العرب ولا على طرقهم، وحتى لا يقف الآمدي موقف المنكر لهذا الابداع خرج من المأزق

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٥٨
(٢) نفس المصدر ص ١٥١
(٣) نفس المصدر ٤١٥
(٤) شرح الحماسة — المقدمة — ص ١١

بالتفريق بين تعريفين للشاعر والفيلسوف وبين أن من أتى بالابداع على غير طرائق العرب الشعرية يمكن أن يسمى بالحكيم أو الفيلسوف ولكن لا يصح أن يسمى شاعراواذا صحت تسميته بالشاعر فانه لا يكون مطبوعا •

ويفضل الآمدي المعنى الذي تردفه العلة ويكشف غامضه الشاهد

فهو يستحسن قول المرار الفقعسي في وصف الأثافي :

أثــر الوقــود على جوانبها بخدودهــن كأنه لطــم

ويستحســن قول ابن الطثرية :

أتاني هواها قبــل أن أعرف الهوى

فصــادف قلبــا فــارغا فتمكنــا

ويقول الآمدي : « وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى ، لأنه شرح العلة » (١) •

### ٣ ـ الآمدي وتهمة التعصب

اتهم بعض القدماء الآمدي بالتعصب ضد أبي تمام وانتقلت تهمــة التعصب هذه الى المحدثين ، فقد جاء في وصف كتاب الموازنة على لسان ياقوت قوله : « وهو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه في مواضــع منه ، ونسب الى الميل مع البحتري فيما أورده والتعصب على أبي تمــام فيما ذكره • والناس بعد فيه على فريقين :

١ ـ فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبــة حبهــم لشعره ، وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصبه فانه جــد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري » (٢) • ويضيف ياقوت قوله : « ولعمري ان الأمر كذلك وحسبك أنه بلغ في كتابه الى قول أبي تمام :

(١) الموازنة ج ١ ص ٦٦

(٢) معجم الادباء ج ٨ ص ١٠١

أصم بك الناعي وان كان أسمعا

وشرع في اقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين فتارة يقول : هو ومسروق وتارة يقول هو مرذول ، ولا يحتاج المتعصب الى أكثر من ذلك الى غير ذلك من تعصباته، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام » (١) •

وبالرجوع الى باب ابتداءات المراثي نجد الآمدي يقول في بيت أبي تمام :

أصم بك الناعي وان كان أسمعا
وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وهذا معنى حسن جدا ، وليس يريد بالصمم انسداد السمع وانما يريد أن الناعي أذهل عن كل شيء وحير حتى صار الانسان يخبر بالشيء ولا يفهم ما يقال لعظم ما ورد ، فجعل ذلك صمما ، وانما أخذ هذا من قول محياة بنت طليق احدى نساء بني تيم الله بن ثعلبة :

نعى ابني محل صوت ناع أصمني
ولا آب محبورا بريد نعاهما

فالآمدي لم يرذل قول أبي تمام الذي أشار اليه ياقوت ، بل استحسنه جدا • وأما ما كان من نسبته الى السرق فان ذلك ليس تحاملا من الآمدي في عصر كانت السرقات الشعرية فيه شائعة في النقد العربي — سواء عند الآمدي أو سواه — كما يقول الدكتور مندور (٢) • بل ان الآمدي لم يكن يرى السرقات الشعرية كبير عيب على الشاعر ويرى ان

(١) معجم الادباء ج ٨ ص ١٠١
(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ١٤٠

من كشف معنى وأحسن العبارة عنه صار أولى به (١) .

أما طائفة القدماء الذين أسرفوا في التقبيح لتعصب الآمدي على أبي تمام لأنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري كما يقول ياقوت ــ فقد طالعتنا آراء بعضهم من خلال المصادر المختلفة : فالشريف المرتضى ( ت ٤٣٦ هـ ) يتعقب معاني الآمدي في كتاب الموازنة ويحاول أن ينقضها ، وهو في كتابه « طيف الخيال » يرى أن الآمدي يتعصب للبحتري على أبي تمام ويجتهد في الدفاع عن مساوىء شعر البحتري (٢) ومن عجب أن يأخذ الشريف المرتضى برأي الآمدي في تفضيل البحتري على أبي تمام في باب طيف الخيال اذ يقول الآمدي : « ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : هو أشعر الناس وألهجهم بذكر الخيل والخيال » (٣) ويزري الشريف المرتضى بأبي تمام لتقصيره في هذا الباب وينوه بأصالة البحتري يقول : « ولأبي تمام في هذا المعنى التافه اليسير ، فانه ما عني به ، ولا رزق منه ما رزق البحتري ، فانه كان مغرما متيما بالقول في الطيف ، فأكثر منه وأغزر مع تجويد واحسان وافتنان ، وتصرف فيه تصرف المالكين وتمكن منه تمكن القادرين » (٤) .

ونحن بدورنا نرى أن تهمة التعصب للبحتري والانحطاط في شعبه كما يقول الشريف المرتضى (٥) هي تهمة باطلة اذ أننا نلمح بغضا للآمدي من خلال النصوص الكثيرة المبثوثة في كتابي « الامالي » و « طيف الخيال » ولم يحاول الشريف المرتضى بعد أن يناقش طريقة الموازنة والنقد مناقشة هادئة وبشكل موضوعي وانما طفق يرد عليه بعض المعاني التي

(١) الموازنة ــ الجزء المخطوط ــ ص ٧٤ ب
(٢) طيف الخيال ص ٢٠
(٣) الموازنة ج ٢ ص ١٦٧
(٤) طيف الخيال ص ٤
(٥) نفس المصدر ص ٢٤١

تختلف وجوه تأويلها ، من ذلك استشهاد الآمدي بالآية الكريمة ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ••• الآية ) ليدل على أن النفوس هي التي تجتمع وتلتقي ويتمثل لها ما تتمثله في يقظة أو نوم وأن نفس الانسان هي التي تنام • قال الشريف المرتضى : « واستشهاده بالآية مما كان ينبغي له ألا يخوض فيه وألا يدخل نفسه في مثله»، فان ليس من عمله ، ولا مما لديه علم ولا معرفة » (١) •

وأما ابن المستوفى ( ت ٦٣٧ هـ ) أحد شارحي ديوان أبي تمام يقول : « أظن الآمدي لتعصبه على أبي تمام كان يضع في شعره أبياتا مفسودة ليردها عليه » (٢) • ونحن نرى أن دعوى ابن المستوفى هذه ناشئة عن عجزه في تبيين أخطاء للآمدي في الشرح والمعاني بعدما أشبعها الآمدي علما وشرحا وتخريجا ورجوعا الى أهل الاختصاص كل في بابه بحيث لم يدع مأخذا لمتعصب ، والآمدي بعد أتقى لله من أن ينزل الى هذا الدرك من افساد شعر ابي تمام ورده عليه ، وما علمنا أن أحدا من القدماء أشار الى شيء من ذلك • وكان اولى بابن المستوفى أن لو بحث في طبيعة الموازنة وصلاحيتها من أن يظن به هذا الظن •

وانتقلت تهمة الآمدي بالتعصب ضد أبي تمام الى المحدثين فقد رأى الاستاذ أحمد امين في كتاب « الموازنة » تعصبا للبحتري من وراء حجاب ووضعه مقابل الصولي في تعصبه لأبي تمام (٣) • واشار الدكتور محمد عبده عزام الى أن كتاب الموازنة يشهد بتعصبه على أبي تمام (٤)• والى مثل هذا الراي ذهب الاستاذ جرجي زيدان (٥) والشيخ محمد

(١) طيف الخيال ص ٥٠ ، وانظر الموازنة ج ١ ص ٣٧١
(٢) ديوان أبي تمام شرح البتريزي ج ١ ص ٣٤٨
(٣) الصولي ــ كتاب أخبار أبي تمام ــ المقدمة ص ااا هـ
(٤) ديوان أبي تمام ــ شرح التبريزي ص ٢٦
(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٦١

محيي الدين عبد الحميد (١) .

اما الاستاذ طه ابراهيم فيرى أنه ما دام الآمدي رقيق الطبع ، يرى الشعر متعة حلوة لها رقة الماء أو روحة النسيم ، فالبحتري اذن من أصداء نفسه ، من هواها ، من متعتها ، فهو مدفوع اليه دفعا ما من ذلك بد منجذب اليه طوعا أو كرها (٢) .

فهل تعصب الآمدي على أبي تمام كما يشير المحدثون ؟ ان العصبية كما يعرفها القاضي الجرجاني هي تلك التي ان وجدت كدرت صفو الطبع وفلت حد الذهن ، ولبست العلم بالشك وحسنت للمنصف الميل ومتى استحكمت ورسخت صورت الشيء بغير صورته وحالت بين المتعصب وبين تأمله وتخطت به الاحسان الظاهر الى العيب الغامض ،وما ملكت العصبية قلبا فتركت فيه للتثبت موضعا وأبقت منه للانصاف نصيبا » (٣) . فهل كان عند الآمدي شيء من هذا القبيل ؟

ان الآمدي كان يتحرى العدلوالحق في كل جزئياتاحكامه ، ومنذ بداية الموازنة أقر الآمدي ان الذوق المدرب هو الذي يستطيع أن يحكم على الأثر الادبي — له أو عليه — ولكنه سيعمل جاهدا على ضبطه والحد منه ، وليس في هذه الروح النقدية ما ينم عن تعصب أو تحامل ، بل ان لاقتصاده في الحكم ،وتحرجه من التفضيل في كثير من أحكامه في الموازنة التفصيلية بين أبي تمام وصاحبه أصدق مثال على عدله ونزاهته .ومواقف الآمدي المختلفة في كتاب الموازنة تنفي أي موضع للتعصب أو التحامل ضد أبي تمام ولا بأس من ايراد بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، يدعي أبو علي محمد بن العلاء السجستاني أن ليس لأبي تمام معنى انفرد به واخترعه الا ثلاثة معان ويرد عليه الآمدي بقوله : « ولست أرى الأمر

(١) الموازنة طبعة حجازي بالقاهرة ص ٣
(٢) تاريز النقد الادبي عند العرب ص ١٨٤
(٣) الوساطة ص ٤١٤

على ما ذكره ابو علي ، بل أرى ان له على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة ، وبدائع مشهورة » (١) • وفي تعليق للآمدي على بعض روائع أبي تمام يقول :

« ولو أن أبا تمام حتى يخلو من كل لفظ جيد البتة ، أو أنه قال بالفارسية او الهندية ••• أو ما اشبه هذا من بدائعه حتى يفسر لنا مفسر بكلام عربي منثور ، أما كان يكون هذا الشاعر محسنا يثابر شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه مبداولة ••• ؟ (٢)

وقبل الحكم على نزاهة الآمدي في الموازنة علينا أن نفرق بين أمرين رئيسيين وهما :

١ ــ الذوق الأدبي وأثره في النقد •

٢ ــ صحة المبدأ النقدي وصلاحيته •

فأما الذوق الأدبي عند الآمدي فهو وان كان أميل الى البحتري وطريقته الشعرية ، فذلك أمر خارج عن النقد ذاته وهو ما يقره النقد الادبي الحديث ويسلم بوجوده ، وتبقى العبرة في روح الاحتراس العلمي وتحري العدل والانصاف ، وهو ما لم يدفعه عن الآمدي حتى أصحاب فكرة تحيزه للبحتري • يقول الاستاذ أحمد أمين : « ••• ولكن الحق أن الآمدي هذا كان اذا عرض لنقد أبي تمام أو البحتري في عيب من عيوبهما ، أو ميزة من مميزاتهما ، كان عادلا » (٣) ويضيف الاستاذ أحمد امين قوله : « هذا الى حسن تعبير ومعرفة بالنفس الانسانية واطلاع واسع على كلام من سبقه ، وذوق حساس يذوق به الجيد من الردىء ، وعفة في النقد حتى لا يكاد يجرح أحدا منهما، بل لو استطاع أن يمجدهما

---

(١) الموازنة ج ١ ص ١٣٣
(٢) نفس المصدر ص ٣٩٨
(٣) النقد الادبي ص ٤٤٦

جميعا لفعل ، كما يظهر عليه أنه رجل متدين ، يرى الحكم على أحدهما كحكم القاضي في نزاع على مسألة هامة ، يقدر مسئولية الحكم ، يخشى الله ويرجوه » (١) •

أما ما نأخذه على الآمدي فهو المبدأ النقدي وصلاحيته ، فهو قد وازن بين الطائيين على أساس معايير عمود الشعر فحرم نفسه تذوق الكثير من العناصر المتألقة في شعر أبي تمام والذي كان اكثر تعبيرا عن ذوق العصر الحضاري في القرن الثالث الهجري من شعر البحتري • ومثل هذه النظرة الى الشعر على أنه تراث جماعي تلغي الموهبة الفردية في الشعر ، وتحيله الى رسوم خارجية ، واضافات جزئية • ونحن نرى أن الآمدي كان يحسن تذوق شعر أبي تمام مما وافق مقاييس عمود الشعر، ولكنه حرم نفسه تذوق جيد شعره مما تفلت من هذه المقاييس • وكان أحرى به أن لو نظر الى عمود الشعر من خلال روائع أبي تمام •

ومن هنا نرى أن تهمةالتعصب عند الآمدي باطلة من أساسها ، وما كان من غبن لأبي تمام وشعره ، فهو من قصور مبدأ الآمدي النقدي وطريقته في الموازنة •

---

(١) النقد الادبي ص ٤٤٧

# الخاتمة

حاولنا في هذه الدراسة رسم صورة للمجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري من جميع مناحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وبينا كيف أن الحياة في هذا القرن كانت متناقضة أشد التناقض فسدت فيه الحياة السياسية وتدنت الاحوال الاقتصادية وتحمل أهل العلم والادب الوزر الاكبر من سوء الاحوال المعيشية ، بينما واصلت العلوم والآداب مسيرتها التي بدأتها في القرنين الاول والثاني الهجريين ، وكأن التجزئة السياسية في هذا القرن كانت نعمة على الفكر والادب ،فقد تنافس الملوك والامراء في اقتناء المكتبات ونشر دور العلم ، وكانت بلاطاتهم محط أنظار كثير من الادباء والفلاسفة وأهل العلم • ونظرة على فهارس « يتيمة الدهر » للثعالبي تعطينا صورة حية نابضة لكثرة الادباء والعلماء الذين تجمعوا في بلاطات الامارات المستقلة •

وطبيعي في هذه الحالة من الخصب الادبي أن تنشط الحركة النقدية ، وأن يتجمع حول كل شاعر انصار وأعداء • وبينا كيف أن الخصومة بين أنصار الشعر القديم وانصار الشعر المحدث اتخذت من المفاضلة بين أبي تمام والبحتري ميدانا لها ، فألف انصار ابي تمام الكتب في مدحه والدفاع عنه كما الف أعداؤه الكتب في الازراء به والغض من شعره • وكانت الحاجة ماسة الى نشوء مدرسة نقدية ثالثة تقوم بدور الوساطة والصلح وتقرب بين الفريقين المتخاصمين ، وتلك هي المهمة النقدية الشاقة التي أراغ لها الآمدي في كتابه « الموازنة بين الطائيين » والقاضي الجرجاني في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » •

# المصادر والمراجع

## أ ــ المصادر العربية


١ ــ **الآمدي ، أبو القــاسم** : الموازنة ، دار المعارف ــ مصر ١٩٦١ ــ ١٩٦٥ م

٢ ــ **الآمــدي ، أبو القاسم** : الموازنة مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٤٤ م

٣ ــ **الآمدي ، أبــو القاسم** : الموازنة ، الجزء المخطوط ، نسخة كمبردج

٤ ــ **الآمدي ، أبــو القاسم** : المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستــار فراج ــ دار احيــاء الكتب العربيــة ــ القاهرة ١٩٦١ م

٥ ــ **الآمدي ، أبــو القاسم** : المؤتلف والمختلف ، نشر كرنكو ــ مكتبــة القدسي ــ القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٦ ــ **ابــن الاثــير** : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .

٧ ــ **ابــن الانبــاري** : نزهة الالباء ، مطبعــة المعــارف ــ مصر ١٩٥٩ م

٨ ــ **البغدادي ، الخطيــب** : تاريخ بغــداد ، مطبعة السعــادة ، مصر ١٩٣١ م .

٩ ــ **أبــو تمــام الطائــي** : ديوان أبي تمام ــ شرح التبريــزي ، دار المعارف مصر ( ١٩٥١ ــ ١٩٥٧ )

١٠ ــ **التوحيــدي، أبو حيان** : الامتاع والمؤانسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة(١٩٣٩ــ١٩٤٤م)

١١ ــ **الثالبــي ، عبد الملك** : يتيمة الدهر ، المطبعة الحفنية ، دمشــق ١٣٠٤ هـ .

١٢ ــ **الجاحظ،عمرو بن بحر** : البيان والتبيين ، مطبعــة لجنــة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ م .

١٣ ــ **الجاحظ،عمرو بن بحر** : كتاب الحيوان مطبعة الحلبي مصر ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ م

١٤ ـ الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الاعجاز ، دار المعارف القاهرة ١٣٦٧ هـ .
١٥ ـ الجرجاني ، القاضي : الوساطه الطبعة الثالثة ، دار احياء الكتب العربية ـ مصر ١٩٥١ .
١٦ ـ الجمحي،محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء ، دار المعارف للطباعة والنشر مصر ١٩٥٢ م
١٧ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
١٨ ـ الحاتمي ، أبو علي : الرسالة الموضحة في سرقات أبي الطيب المتنبي ، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٥م.
١٩ ـ الحريري،القاسم بن علي: درة الغواص ، مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
٢٠ ـ ابن خلكان،شمس الدين: وفيات الاعيان ـ مطبعة السعادة مصر ١٩٥٥ م
٢١ ـ الخوانساري،محمد باقر: روضات الجنات الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧ هـ .
٢٢ ـ ابن دحيه : النبراس ، لجنة الترجمة والتأليف والنشر ـ بغداد ١٩٤٦ م .
٢٣ ـ الذهبي ،شمس الدين : دول الاسلام ، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية حيدر آباد ، ١٣٦٤ هـ .
٢٤ ـ ابن رشيق القيرواني : العمده ، الطبعه الثانية ، مطبعة السعادة مصر ١٩٥٥ م
٢٥ ـ الزبيدي ، أبو بكر : طبقات النحويين واللغويين ، الطبعة الاولى ـ مطبعه الخانجي مصر ١٩٥٤ م .
٢٦ ـ ابن الزبير، أحمد بن القاضي : الذخائر والتحف ، دائرة المطبوعات والنشر الكويت ١٩٤٩
٢٧ ـ السيوطي ،جلال الدين : بغية الوعاة ، مطبعة السعادة مصر١٣٢٦هـ
٢٨ ـ الشريف المرتضى : الامالي ، مطبعة السعادة مصر ١٩٠٧ م .
٢٩ ـ الشريف المرتضى : طيف الخيال ـ دار احياء الكتب العربية مصر ١٩٦٢ م .
٣٠ ـ الصاحب بن عباد : الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٥ م .
٣١ ـ الصولي ، أبو بكر : أخبار أبي تمام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧ م .
٣٢ ـ الصولي ، أبو بكر : أخبار البحتري ، المجمع العربي بدمشق ١٩٥٨ م .

٣٣ ـ **الصولي ، أبو بكر** : الاوراق ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ١٩٣٥ م

٣٤ ـ **ابن طباطبا العلوي** : عيار الشعر ، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٥٦ م

٣٥ ـ **ابن الطقطقي** : الفخري في الآداب السلطانية ، مطبعة محمد علي صبيح القاهرة ١٩٦٢ م .

٣٦ ـ **ابو الطيب اللغوي** : مراتب النحويين ، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٥ م .

٣٧ ـ **ابن عبد ربه** : العقد ج ٥ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦ م

٣٨ ـ **أبو الفرج الاصفهاني** : الاغاني دار الثقافة بيروت ١٩٦٠ م .

٣٩ ـ **ابن قتيبة** : الشعر والشعراء ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ م .

٤٠ ـ **ابن قتيبة** : أدب الكاتب ، الطبعة الثالثة ـ مطبعة السعادة مصر ١٩٥٨ م

٤١ ـ **القفطي ، جمال الدين** : انباه الرواة ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠ م

٤٢ ـ **القفطي ، جمال الدين** : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ .

٤٣ ـ **ابن كثير ، عماد الدين** : البداية والنهاية ، ج ١١ مطبعة السعادة مصر .

٤٤ ـ **المرزباني ، أبو عبيد الله** : الموشح ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .

٤٥ ـ **المرزوقي ، أبو علي** : شرح ديوان الحماسة ، الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥١ م .

٤٦ ـ **مسكويه ، أحمد بن محمد**: تجارب الامم ج ٦ مطبعة شركة التمدن الصناعية مصر ١٩١٥ م .

٤٧ ـ **ابن المعتز ، أبو العباس** : رسائل ابن المعتز ـ جمع محمد عبد المنعم خفاجي ـ الطبعة الاولى ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٤٦ م .

٤٨ ـ **المقدسي** : أحسن التقاسيم ، ليدن ١٩٠٦ م

٤٩ ـ **المقريزي ، تقي الدين** : الخطط المقريزية ، نشر أحمد علي المليجي القاهرة ١٣٢٤ هـ

٥٠ ـ **ابن نباتة ، أبو بكر** : سرح العيون ـ المطبعة الميرية مصر ١٢٧٨هـ

٥١ ـ **ابن النديم،محمد بن اسحق** : الفهرست تحقيق غوستاف فلوجل مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤ م

٥٢ ـ **الهمداني ،محمد بن عبدالملك** : تكملة تاريخ الطبري ، الطبعة الاولى ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٩ م .
٥٣ ـ **ابن الوردي ،زين الدين**: تتمة المختصر في أخبار البشر ـ المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٨٥ هـ .
٥٤ ـ **ياقوت الحموي** : معجم الادباء ـ مطبعة دار المأمون
٥٥ ـ **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ـ ج ١ دار صادر ـ دار بيروت ١٩٥٥ م .

## ب ـ المراجع العربية

٤٨ ـ أمين ، أحمد : النقد الأدبي الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م
٤٩ ـ ابراهيم طه أحمد : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧
٥٠ ـ (؟) الخربوطلي ، علي حسني : غروب الخلافة الاسلامية مؤسسة المطبوعات الحديثة القاهرة (لا٠ت) .
٥١ ـ الدوري ، عبد العزيز : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان بغداد ١٩٤٥
٥٢ ـ زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ مطبعة الهلال مصر ١٩٣٠
٥٣ ـ السمرة ، محمود : القاضي الجرجاني ، الطبعة الأولى المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت ١٩٦٦ م

٥٤ ــ منـــدور ، محمـــد : النقد المنهجي عند العـــرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (لا•ت )

٥٥ ــ هدارة ، محمـــد مصطفـــى : مشكلة السرقات في النقد العربي مطبعة لجنة البيان العربـــي مصر ١٩٥٨ م

حـ ــ المراجع المترجمة

٥٦ ــ أوليري ، دولاسي ايفانــــز : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، تمام حسان وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦١

٥٧ ــ سيـــديـــو ، لـــويس : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر مطبعة البابي الحلبي القاهرة القاهرة ١٩٤٨ م

٥٨ ــ متز ، آدم : الحضارة الاسلامية في القـــرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبـــد الهادي أبو ريدة ، الطبعة الثانية مطبعة لجنة التـــأليف والترجمـــة والنشر القاهرة ١٩٤٧

# ـ فهرس الموضوعات ـ

الصفحة